

فُلُوكُ نُفُوحِ

مجموعة قصصية

د/ عمرو منير محمد

اسم الكتاب

فلك نوح
مجموعة قصصية

المؤلف

دكتور/ عمرو منير محمد

رقم الإيداع ٢٠٢٤ / ٧١٠٩
الترقيم الدولي ٩٧٨-٩٧٧-٨٧٤٧-٣٥-٥

الناشر

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى المستقبلِ البعيدِ الذي لَنْ نَكُونَ جزءًا منه ؛؛؛

فَوْقَتَيْنِذٍ ...

سنكونُ قد عُدنَا إلى ترابِ الأرضِ؛ بينما يواصلُ
أحفادُنَا رحلةَ كفاحِهِمْ على سطحِها مِنْ أجلِ البقاءِ وسطَ
هذا العالمِ المضطربِ، والمحتضِرِ بسببِ جشعِ بني
الإنسانِ !.

د/ عمرو منير محمد

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

إلى الناقد الكبير أ. عبد الحافظ بخيت متولي، الذي
أَهْدَى هذه المجموعة القصصية تقديمًا ثمينًا للقارئ
متناولًا الإطارَ العامَّ للمجموعة، وما اشتملت عليه من
نقاطٍ فنيةٍ، وفكريةٍ.

إلى الشاعر الصديق أ. محمد فاروق، رئيس نادي
أدب سوهاج الذي قامَ بتدقيق المجموعة لُغويًا،
ورافقتني لحظاتٍ مخاضها.

إلى الجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي، والتي
تحمل على عاتقها تطويرَ واستمرارَ هذا النوع الحديث
من الأدب العربي المعاصر.

إلى رُوح والدي رحمه الله، والذي لولاه ما كنتُ
متدوِّفًا للمعرفة، ولا شعرتُ بنشوتها.

د/ عمرو منير محمد

مَعْرَكَة

يبدو أنَّ الموقفَ عَصِيبٌ ...!

ثلاثُ سفنٍ مكعبة الشكل، شفافَة الجدران، ومزودة بأحدث الأسلحة الفتاكة تهاجم عددًا لا حصرَ له من الأجسام الضخمة الرمادية غير محددة الأبعاد .

الظلام يعمُّ كافَّة الأرجاء، فهنا في هذا العمق تحديدًا لن يجد قادة تلك المركبات الهجومية أية وسيلة للإضاءة، ويدركون تمامًا أن عدوهم متلوّن، وعلى درجة عالية من الخداع، لذا فكلُّ سفينة مدعومة بقرون استشعار أشبه بالرادارات في الزمن الماضي حيث لم

يكن البشر قد اخترعوا هذه التكنولوجيا عالية الدقة
بالغة التحسُّسِ .

بادرت سفينة كابتن طاهر بالهجوم بعد أن تمَّ
التنسيقُ مع زميليه ليلي، وعمَّار قبل خوض تلك
المعركة الحامية الوطيس .

خاطب طاهر فريقه في حماسٍ واضحٍ: معركة
أخرى أصدقائي الأعزاء .. لن نترك هؤلاء الوحوش
ينهشوننا أحياءً..!، سأكون أنا المبادرَ بالهجوم، الرجاء
اتباع التعليمات ...

ظهر الهدف لظاهر كمبنى ضخم من عدة طوابق،
ولكنه في هذه المرة جسمٌ عملاقٌ بلا أطرافٍ، يحملُ
جسدهُ اللزجَ العديدَ من الزوائد الطويلة، والقادرة على
ابتلاع كلِّ ما يحيطُ بها ليطحنَ العملاقُ ما يبتلعهُ
بسهولةٍ، ويحوِّلهُ إلى ما يشبه الرمالَ الصفراءَ.

يدرك طاهرُ ذلك جيِّدًا، فهو الطيَّارُ الطبيبُ المخضرمُ
البالغُ من العمر مائةً وعشرةً من الأعوام، فهو بما
يحملُه من خبرةٍ عسكريةٍ، و طبيةٍ يعرفُ كيف يتعامل
مع هذا النوع من الوحوش الشرسة، فقد خاض طوال

حياته المديدة الآلاف من المعارك بعد اختراع تلك السفن الملاحية القتالية عالية التقنية.

سبحث سفينة الدكتور طاهر في السائل الأحمر المحيط بالعماليق، تركزَ أمام أضخمها ثم بسرعةٍ خاطفةٍ وجَّه مدفع المركبة " الليزري " بنوعيه الحارق ، والقاطع إلى منتصف أضخم عملاقٍ فيهم، انطلقت أشعة " الليزر " لتخترق جسد العملاق صانعة فيه ثقباً كبيراً، والذي بدا أنه غير مؤثرٍ مع هذا الضخم الخبيث.

طالت المدة، والدكتور طاهر يحاول اختراق العملاق الرماديّ بمدفعه " الليزري " فلم يجد مفراً من استدعاءٍ مساعدٍه المخرممين ليلى، وعمار، خاطبهما في قلقٍ وتوترٍ: د/ ليلى ، د/ عمار، رجاءُ المساندة بالليزر، هذه المرة نحتاج قوةً حراريةً عاليةً الدرجة، نقلت قرونٌ استشعارِ السفينة الأمَّ إشارة الاستدعاء عبر السائل الأحمر الشفاف المحيط بسفنهم، كان انتقالُ الموجاتِ دون أن تلتقطها زوائد العملاقِ أمراً ليس سهلاً على الإطلاق، ولكنَّ سفينتهما المعدَّلة ذات الجدرانِ الشفافةِ المصقولة كانت قادرةً على تضخيم تلك الموجاتِ في تردداتٍ معقَّدة تلتقطها قرونٌ استشعارِ السفن بعيداً عن قُدرة المخلوق المتوحَّش على استيعابها، وبالفعل

وصلت المركبتان إلى جانب السفينة الأم، وجّه عمّار، وليلى مدافعهما الليزرية إلى مركز العملاق بسرعة خاطفة مع إطلاقهما نحوه عبواتٍ تحمل سائلاً حارقاً لجسدِ العملاق المهدّد لكلّ ما حوله. تعرّك السائل الأحمر المحيط بأجواء المعركة بالمحتويات الناتجة عن المعركة. شعر دكتور طاهر ومساعداه بقرب لحظة الانتصار، فكم استهلك هذا التجمّع العدائي من الأجسام الضخمة كلّ ما يحيط به.

جاءت لحظة الانتصار بتحلّل العملاق تدريجياً إلى مادةٍ سوداءٍ لزجة اختلطت بما يحيط بها من سوائٍ حمراء، وشفافة. لم ينتظر الفريق المحارب وقتاً آخر للقضاء على باقي الأجسام العدائية فانبشروا جميعهم في حرق كلّ ما يحيط بهم من أجسامٍ هجومية حتى تمّ تنظيف الموقع المنشود بشكلٍ فرض السّلام أخيراً في هذا المكان العميق المظلم.

فور انتهاء مهمّة القائد طاهر، ومساعديه، قرّرا تنفيذ الجزء الأخير الروتيني من العملية القتالية حيث اصطفت المركبات الثلاث في مثلث، وبدأ العدّ التنازلي : خمسة .. أربعة .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .. صفر.

انطلق شعاع الليزر من كل سفينة نحو الأخرى ليذيبها تمامًا محوًّا بعضها على البعض إلى سائلٍ مائيٍّ يذوب بسهولة في السوائل الحمراء المحيطة، ولتختفي بعدها تلك السفن الملاحية القتالية للأبد.

وبعد مرور ساعة داخل غرفته الواسعة الأبعاد، الزجاجية الجدران، جلس دكتور طاهر على مكتب مستدير في اجتماع مصغر مع مساعديه الشابين عمار، ويلي ذوي العقد السادس من العمر ليناقشوا كافة السلبيات، والإيجابيات التي أحاطت بعمليتهم القتالية الأخيرة، والتي كانت مهمتها تدمير خلايا ورم سرطاني في جدار الأمعاء لمريض شاب بواسطة مجموعة من السفن الملاحية القتالية " النانوميترية " الحجم، والتي تم حقنها في الشريان المغذي لمنطقة الورم، ويدير حركتها دكتور طاهر، ومساعداه عبر شاشات ضخمة في غرفة عمليات المركز الطبي العسكري.

لَا تَتْرُكْنِي مَعَهَا..!

المنزلُ نظيفٌ بالفعل وبشكل مثالي، لذا لم تجدِ الأم الأربيعينية العمر والهيئة رغبةً صعوبةً في تنظيفه، فالآليُّ الذي اشتراه زوجها طارق حديثاً أثناء سفره إلى مدينة دبي الشهر الماضي قامَ بكاملِ دوره في تغيير هيئة المكان المُعبأ عن آخره بالأتربة، وما تبقى من الأطعمة المعلبة التي اعتادت تلك الأسرة على تناولها منذ حدوث التلوُّث الذريِّ الأكبر في تلك الولاية الساحلية الهادئة، والتي انسَاب إليها الماء مؤخراً إلى أطرافها لتتحول من مدينةٍ داخليةٍ في قلب الدلتا إلى أخرى

ساحليةٍ بعد أن غرقت كلُّ المدن الساحلية المصرية، بعد ارتفاع منسوب مياه المتوسط نتيجة لارتفاع درجة حرارة الأرض غير المسبوق، الحرارة التي خنقَتْها عوادمُ الصناعة.

بحث الأب طارق في زيارته الأخيرة لمدينة دبي الإلكترونية العالمية على آليٍّ من نوع خاصٍّ، أرادَهُ صغير الحجم، نشيط الحركة، مع استهلاكٍ قليل للكهرباء التي أضحت شحيحةً وتُستخرج فقط من حرارة باطن الأرض مما جعلها مُكلَّفةً خصوصاً بعد اندلاع حرب البترول العالمية، وتحولها إلى مَحرقَةٍ نووية هائلةٍ شملت العالم أجمع، وفقدت الأرض بسببها أعزَّ ما تملك من نتاج بطنها من نباتاتٍ، كما فقدت حيواناتٍ، وعدد كبيرٍ من البشر لينتهي عصرُ البترول بلا رجعةٍ، وتتعافى البشرية بعد عُقودٍ من تلك القيامة الأرضية باستخدام الهندسة الوراثية العكسية لتعود الحياة لسيرتها الأولى، ويتعهَّد العالم أجمعُ باستخدام الطاقة النظيفة.

أخيراً وجدَ الزوجُ ضالَّته في هذا الآليِّ السعوديِّ الصُّنع، فوزنه خفيفٌ لا يزيد عن خمسة عشر كيلوجراماً، مكعَّبُ الشكل، مُعطى بالكامل بألواح فضيَّة

عاكسة ملساء لا يستطيع التراب الالتصاق بها، وتمتص الضوء المحيط كمصدر للكهرباء، تحركه عجلات دائرية سوداء من الصلب، يتصدّر إحدى واجهاته شاشة مستطيلة تضئ بلون فسفوري باهت، وتمتلئ بمربعات تحمل كلمات عربية تعبّر عن المهام المتعددة القادرة على تنفيذها، فهو يحمل أنبوباً رأسه مثلث ذو فوهة هرمية الشكل يخرج من جسم الآلي، وقادر على شطف أية أتربة أو مخلفات طعام، بينما يسير في هدوء على قاعدته التي تحمل زوجين من المكانس الدائرية تجمعان التراب من الأرضيات حتى يصبح لقمة سائغة لهذا الشفاط النهم. جلست ليلى، تلك الابنة الكبرى في هذه العائلة والتي تبلغ من العمر عشرة أعوام في كُمون، وثبات كتمثال شمع في متحف تتابع هذه الشاشة الهابطة من السماء بمصدر ضوء متعدد الأبعاد، مازالت تُصرّ على مشاهدة تسجيل واحد فقط تم تصويره منذ حوالى ثلاثة أعوام تقريباً بعد ولادة أخيها الصغير سلمان، والذي تمّ تسميته على اسم والد مؤسس نهضة الدولة العظمي الملك محمد بن سلمان الذي تمكّن من انقاذ وطنه من كارثة الشتاء النوويّ باستعداده لها ببناء ملايين المنازل في قلب جبال المملكة لتحمي مواطنيه من هذا الهلاك الختمي.

انسابت من التسجيل ذكري من أجمل الذكريات إلى قلب
الطفلة حيث يتكرر هذا المشهد الجميل، الأب يلعب
بالطائرة الورقية على هذه الرَبْوَة الخضراء التي تقبّع
داخل كبسولة زجاجية ضخمة توفر درجة الحرارة
المُعْتَدِلَة، والضوء اللازم لنمو هذه النباتات، وحمايتها
من الهواء الذي يضيق ذرعاً بالغبار الملوّث. كانت الأم
تُحْمِلُ صغيرها حديث الولادة بينما تلعب ليلي مع
أبيها بالطائرة المرتفعة في سماء الكبسولة الزرقاء.

كَمْ كَانَ الْجَوُّ بديعاً حيثُ المكانُ يَعِجُّ بالأسر التي
جاءت من كافة أرجاء المدينة الساحلية لتجد لها
مُتَنَفِّساً، هاربة من هذا المُنَاخ الذي أعلن عصيانه
للإنسان عقاباً على ما اقترفه من جرائم بيئية بشعة.

تابعت ليلي في شغف هذا التسجيل الذي طالما
تابعت مرات لا تُحصى، دخلت والدتها رعدة في هدوء
لتحدث الصغيرة المندوهة بالتسجيل: ليلي يا ابنتي،
إلى متى ستتابعين هذا المشهد القديم؟.

أرجوك يا بُنيتي، اتركيه وابدئي في استذكار
دروسك. لَمْ تُعَرِ الطفلة لكلامها أيَّ اهُتِمَامٍ، حَتَّى
أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرْ ثَجَاهَهَا، أعادت رعدة كلماتها في

شكلٍ جَمَلٍ جامدةٍ متحجِّرةٍ، ولكنَّ بصوتٍ أعلى، ومع ذلك لَمْ تستجبِ الطفلةُ العنيدةُ، وظَلَّتْ كما هي.

جذبَ الصوتُ العاليُ الطفلَ سلمانَ إلى حُجرةِ الإعاشةِ، عمرُه لم يتجاوزِ ثلاثةَ أعوامٍ تقريباً وَمَعَ ذلكَ فتربيتهُ الصَّارِمةُ على يدِ رغبةٍ أتاحَتْ له قدرةَ القراءةِ والكتابةِ مُبَكِّراً، في خوفٍ واضحٍ خاطبَ سلمانُ ليلَى ووالدتهُ: ماما، ليلَى، فيه حاجةٌ حصلت ... أنا خايف..!.

في سرعةٍ خاطفةٍ، سارتُ ليلَى نَحْوَ أخيها لتضمَّهُ إلى صدرِها في حنانٍ قَلْبٍ مفعَمٍ بالحُبِّ، (لا تخفْ يا سلمانُ لا تخفْ يا أخي الحبيبُ).

لم تتركْ رغبةُ الشَّقِيقَيْنِ في تلكِ الحالةِ كثيراً حيثُ أخذتْ يدَ الطفلِ في قوَّةٍ وهدوءٍ لتسحبه إلى داخلِ غرفِها لتبدأَ في إطعامه الكعكةَ التي يحبُّ، بينما يجلسُ بجوارها طالباً منها أنْ تقصَّ له حكايةً من حكاياتِها المتنوعةِ التي تحفظُها في ذاكرتها بكلِّ دقةٍ.

أخيراً وصلَ طارقٌ إلى المنزلِ بعد يومٍ شاقٍّ من العملِ استدعى سفره إلى مختلفِ أرجاءِ مصرَ باستخدامِ الطَوَّافَةِ الكهرومغناطيسيةِ التي تقاومُ الجاذبيةَ لتتعدَّم تقريباً، بينما يمكَّنُها مولِّدُها الكهربائيُّ الذي يعملُ

بالطاقة الشمسية المخزنة في بطاريات متراصة جنباً إلى جنب في مؤخرتها الأشبه بذيل السمكة، نظر إلى المنطقة المحيطة بمنزله وهو يقبض على مسدسه الليزري خوفاً من هجوم ضواري الليل من الكلاب المشعة التي تخرج من مخابئها في الظلام، وبمجرد اقترابه من باب المنزل المصفح انقسم بسرعة إلى ضلعتين بعد أن تحسست الكاميرا شفرة الأب الوراثة.

فور دخوله المنزل، انطلقت ليلى كالقطار النفث لترتمي في حضن أبيها فرحاً بقدوم أعز الناس إليها. سمعت الأم صوت طارق المرتفع وهو يضحك مع ابنته المتسمرة أمام الشاشة المتعددة الأبعاد.

داعبته الزوجة في صوت خافت - حمداً لله على سلامتك حبيبي الغالي - أنسيت زوجتك التي تنتظرك؟ لم تستسغ ليلى كلمات رغبة نظرت إليها في غضب لاحظته طارق والذي تحرك بسرعة ليسحب الأم من يدها القوية تاركاً غرفة المعيشة ليدخل إلى غرفة سلمان ويغلق الباب بينما وقفت ابنته وحيدة تتابع ما يحدث.

حاول الأب مداعبة زوجته الهادئة: لا تكثرني بها، هي فقط غاضبة مما حدث، ولكنها ستعتاد على الوضع

الجديد، أومأت رعدة برأسها أيجاباً لتبدي تفهّمها
لكلام طارق لتضمّنه هو وسلمان إلى صدرها ليبيكي الأب
وابنه من هذا الموقف الإنسانيّ الغريزيّ.

لم تستطع ليلي البقاء فترةً طويلةً وحيدةً، اقتربت من
باب الغرفة، وأخذت تطرُق الباب براحة يدها الصغيرة
بقوة وهي تصرخ بصوتٍ يحرّقه الألم قائلةً: يا أبي لا
تتركني لها أرجوك.. لا أطيق رؤيتها .. أرجوك لا
تتركني.

كانت كلمات الطفلة لأبيها كطلقات الليزر التي
اخترقت قلب الأب بعنفٍ لا مثيل له، أدركت رعدة ثقل
كلمات الطفلة على زوجها، هنا قرّرت الخروج إلى
ليلى فجذبته من يدها، وسحبته إلى داخل الغرفة حيث
باقي أفراد العائلة.

بدأت الصغيرة في النظر إلى والدها مناديةً إياه: أبي،
هذه ليست أمي، لا تتركني لها أرجوك .. أرجوك. كان
صراخ الطفلة محفّزاً لأخيها سلمان الذي لم يملك نفسه
لينبري هو الآخر في معزوفة قاسية من البكاء فرعاً
من حزن أخته الواضح. حاولت الأم تهدئتهما بكل
الطرق ولكن كان الفشل مصيرها، وهنا لم يتمالك الأب
نفسه والذي قرر أخيراً إنهاء ذلك الموقف الصعب بأن

مَدَّ يَدَهُ إِلَى رَقَبَةِ رَغْدَةٍ حَتَّى وَصَلَتْ أَصَابِعُهُ إِلَى الْمِفْتَاحِ
 الْمَثْبُتِ خَلْفَ أُذُنِهَا الْيُمْنَى لِيَضْغَطَ عَلَيْهِ فِي هَدْوَةٍ. هُنَا
 فَقَطْ تَحَوَّلَتْ رَغْدَةٌ إِلَى تَمَثُّلٍ ثَابِتٍ بِلا حَرَكَةٍ لِيَحْمِلَهَا
 الْأَبُ بِسَهْوَةٍ بَعْدَ أَنْ ضَمَّ جِزْعَهَا إِلَى أَطْرَافِهَا لِيَضْعَهَا
 فِي صَنْدُوقِهَا الْخَشْبِيِّ الَّذِي وَصَلَ حَدِيثًا مِنَ الْمَصْنَعِ
 الَّذِي طَلَبَ مِنْهُ صُنْعَ رُوبُوتٍ بِشَكْلِ زَوْجَتِهِ الرَّاحِلَةِ لِيَلِيَ
 مَدْعُومًا بِذَاكِرَتِهَا الْمَخْزَنَةَ عَلَى شَرِيحَةٍ بِلُورِيَّةٍ، تَمَّ
 الْحَصُولُ عَلَيْهَا مِنْ مَرَكِزِ الذَّاكِرَةِ وَالتَّعَلُّمِ بِالدِّمَاغِ وَقَدْ
 أَنَّ كَانَتْ فِي حَالَةٍ ثَبَاتٍ نَبَاتِيٍّ قَبْلَ أَنْ تَنْتَقِلَ رُوحُهَا إِلَى
 بَارِيئِهَا، بَعْدَ أَنْ فَتَكَ السَّرْطَانُ اللَّعِينُ بِجَسَدِهَا، وَالَّذِي
 نَتَجَّ عَنِ الْإِشْعَاعِ الذَّرِّيِّ الْمُنْتَشِرِ فِي غُلَافِ الْأَرْضِ الَّتِي
 كَادَتْ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ عَدَمِ صَلَاحِيَّتِهَا لِلْحَيَاةِ .

عندما انطفأت الشمسُ

يبدو أنَّ العالمَ وصلَ بتلك الحربِ وتداعياتها إلى حافة الهاويةِ من اشتباكاتٍ صغيرةٍ محدودةٍ في تلك المنطقةِ التي تسكنُ قلبَ الأرضِ القديمةِ إلى إرهاباتٍ حربٍ عالميَّةٍ ثالثةٍ على وشك الاندلاع.

مجموعاتٌ من المقاتلينَ مازالوا يدافعونَ عن أرضهم المغتصبةِ منذ عقودٍ أو ما بقيَ منها ضدَّ مجموعاتٍ المستوطنينَ المدجَّجينَ بأحدث الأسلحةِ الفتاكةِ.

تابع هذا الرجل خمسيني العمر، والجالس في
استرخاء كعادته على مقعده الهزاز الخشبي، وبجواره
ولده الشاب، هذه المعركة المستعرة في قلب المشرق
العربي، جلس الاثنان يستمعان إلى نشرة الأخبار
العاجلة في تلفازهم القديم الموضوع على منضدة
خشبية في بهو الطابق السفلي ضيق الأبعاد لهذا الكوخ
الكائن على شاطئ المحيط الهادي في أقصى جنوب
القارة الأمريكية الجنوبية.

لم يفهم هذا الشاب اليافع ما يراه أمامه على شاشة
التلفاز القديم خشبي الأجزاء. مشاهد قتل، وجرحى
من الأطفال تحت أنقاض بيوت خرسانية مهدومة تحمل
بين أحجارها صرخات أمهاتهم الصادرة من قلوب
مسحوقة.

أدرك الأب حيرة ولده الوحيد الذي عاش كل حياته
في تلك البقعة المعزولة من العالم حيث اختارا " الأب
والأم " الانعزال عن هذه الشبكة العنكبوتية من
المجتمعات البشرية المتداخلة في عشوائية مُفرطة
خاصة بعد ما لاقياه من شرور هذه المجتمعات الهمجية
الطابع والقاسية القلب.

سأل الشاب والدَه في دهشةٍ: لماذا يا أبي تتفاقم الأحداث بهذه الوتيرة المتسارعة؟

لا أفهم كيف أن حرباً محدودةً تصلُ بأمرِ العالمِ أجمع إلى هذه الذروة من الصراع البشري؟

أجاب الأب في أسى: يا ولدي، هذا الصراع يحدث في مركز قارات العالم القديم بين كيانٍ مسعورٍ صنع مستقبله على أكفان هؤلاء المساكين العرب، وللأسف الشديد بدأت كرة النار تتدحرج لينقسم العالم إلى فريقين، كلٌ منهما يدعم أحد المتحاربين، وقد تندلع حربٌ عالميةٌ خلال ساعاتٍ، فينطلق الوحش النووي من مخابئه المنتشرة في كافة محيطات المعمورة، محمولةً على تلك الكائنات الحديدية الغاطسة في أحشاء الماء، وقد ينتهي كوكبنا إلى الأبد بسبب ذلك التدمير الواسع النطاق.

أثارت كلمات الأب رُعب الابن الذي شعر بأن ما يحدث هناك في تلك البُقعة البعيدة قد ينسف حياة عائلته الصغيرة، والتي اختارت الابتعاد عن صخب هذا العالم المجنون.

واصل الأب والابن متابعة الشاشة الصغيرة، تعالى صوت مذياع نشرة الأخبار المحلية بصوت مذعور:

" وَرَدْتُ لَنَا حَالًا أَنْبَاءً مِنْ مَصَادِرَ مَطْلَعَةٍ تَوَكَّدَ عَلَى
استعداد إحدى القوتين العُظْمَيَيْنِ لإطلاق صواريخ
نووية باتجاه الآخر."

وفي حركة خاطفة قام المذيع بضمّ يديه ناظرًا إلى
السماء متضرّعًا إلى الله بأنّ يحمي عباده من بني
الإنسان من تلك الحرب الأشبه بيوم الحساب.

تسارعت دقات قلب الابن بسبب هذا الشعور الكئيب
بقرب النهاية. حاول الأب تهدئة ولده وزوجته التي
هبطت من الطابق العلوي للكوخ لتتابع مع عائلتها
الصغيرة نهاية العالم.

بينما يشاهد الثلاثة حالة المذيع المتضرع إلى
السماء، فجأة اختفت صورة النشرة في التلفاز القديم
لتظهر بعدها شاشة بيضاء صافية تزامن غيابها مع
اختفاء أشعة الشمس خارج الكوخ بشكل مفاجئ،
والتي كانت تنير من لحظات معدودة المنزل بأكمله من
خلال نوافذ الكوخ المنتشرة في كافة الاتجاهات.

خرجت العائلة لشاطئ المحيط مهرولة لتعرف كيف انطفأت أشعة الشمس فجأة في وقت الظهيرة. نظر ثلاثتهم إلى السماء ليجدوا عددًا لا نهائيًا من الأجسام سداسية الشكل، فضية اللون واللامعة السطح، والتي تناثرت في السماء كحبّات اللؤلؤ المنثور لتتراص بشكل هندسيٍّ مبهرٍ مشابهٍ لخلايا النحل بشكلٍ متلاصقٍ بجانب بعضها البعض في فضاءٍ سماء الأرض الشاسعة لتحبّب تلك الأجسام الطائرة أشعة الشمس، والتي اختفت تمامًا ليتحوّل العالم إلى ظلامٍ دامسٍ. لم يفهم الأب ما يحدث أمامه.

نظرت الأم لمياه البحر داكنة اللون، والتي فقدت زرقتها لتتّشحّ بالسّواد. رفعت رأسها نحو السماء، وهي تنظر في فزع نحو هذه السجادة السماوية التي تحجب ضوء الشمس بشكل تامّ. هرع الابن المذعور إلى داخل المنزل ليشاهد التلفاز متمنيًا عودة الإرسال ففوجئ الشاب بالشاشة البيضاء قد تحوّلت إلى اللون الفضيّ اللامع المماثل للون تلك المركبات الفضائية لتظهر في قلب الشاشة المربعة مجموعة من السطور المتراسة، متنوعة اللغات.

تحركت عيناه في قلقٍ بالغٍ حتى تحاولَ أن تلتقطَ لغتَهُ
المحلية التي يتحدث بها من بين المكتوبِ على الشاشة،
اتَّسَعَتْ عيناهُ، وهو يقرأ سطرًا واحدًا باللغة
الإنجليزية استطاع فهمه بصعوبةٍ ليتضاعفَ خوفه من
محتواه " يا أهل الأرض لقد أحبطنا مؤخرًا محاولة
قادتكم لتدمير هذا الكوكبِ بأسلحتكم الخرقاء، انتهت
فرصتكم في إدارة هذا الكوكبِ للأبدِ انتظروا تعليماتنا
تباعًا".

الرَّمَالُ الْحَمْرَاءُ

اعتقدَ جميعُ أهلِ المستعمرةِ أنَّها الحربُ الأخيرةُ
التي خاضوها منذُ أكثرَ من عشرِ سنواتٍ بتوقيت
الأرضِ المهجورة.

كانتِ المستعمرةُ المسماةُ بـ " فُلُكِ نُوحٍ " هي
التجمُّعُ البشريُّ الوحيدُ المتبقي على سطحِ هذا الكوكبِ
البعيدِ " إكس ٧٣ " والذي وصل إليه البشرُ منذُ زمنٍ
طويلٍ هرباً من كوكبٍ محتضِرٍ بعد أن تسمَّمَ ماؤهُ تماماً

بالغازات المنبعثة من باطن الأرض في قاع المحيطات فقضى على الحياة المائية بالكامل بينما الأرض القديمة انتهى بها الحال إلى أن تتحول إلى ما يشبه الصوبة الزجاجية العالمية بعد ارتفاع درجة الحرارة الناتج عن الانبعاثات الكربونية الصناعية، والتي حولته إلى فرن كبير لا يُختمَل .

يبدو أن الحرب عادت مرة أخرى لتُطلَّ برأسها، وبما تحمله من بشاعة، ورائحة الموت السوداء القابضة للأرواح. استشعر هؤلاء الحراس ذلك في المنطقة المحيطة بالمستعمرة الضخمة، والمحاطة بسور فولاذي سميك عالي الارتفاع، والضاربة جذوره لمسافة طويلة في باطن تربة الكوكب، ويمتلك بوابة حديدية ضخمة مغلقة معظم اليوم الكوكبي إلا في حالات خروجهم إلى الصحراء حمراء التربة المميزة، وذلك للبحث عن بحيرات المياه القليلة، والتي تظهر على سطح كوكب " إكس " كبُقَع زرقاء على ثوب أحمر قاتم بعد أن تخترق المياه بضغطها العالي طبقات سطح الكوكب باحثاً عن الحرية.

بالرغم من أن الحراس كانوا أطفالاً وقت الحرب الأخيرة، ولكنهم يعلمون تماماً من ذويهم أن تلك

المخلوقات الفضائية البدائية تبدأ هجومها دائماً على مستعمرات البشر بصدور أصوات حفرها تحت الأرض في محيط المستعمرات، مستخدمةً قدرات حيوانهم الضخم الأشبه بالافئال المنقرضة الأرضية القديمة، والتي تتمتع بدرجة فائقة في قدرتها على ابتلاع كميات هائلة من الرمال الحمراء، وتحويلها إلى حبات دائرية عملاقة في صورة إخراج من جهازه الهضمي.

العجوز آدم ، كان من بين هؤلاء البشرين الذين شعروا بالقلق البالغ من هذه الأصوات الخائقة للنفوس، استرجع على الفور بمجرد سماعه لها أحداث آخر معركة دارت بينهم وبين هذه المخلوقات الفضائية من ساكني هذا الكوكب الأصليين، والذين أطلق عليهم المستعمرون الجدد " عماليق الصحراء "، والذين تمتعوا بأجساد قوية، وبشرة حمراء، وقامة منتصبّة مع أربعة أذرع، وساقين طويلتين تحمل كل منهما قدماً عريضة ذات إصبع طويلة حادة الأظافر، وتمكنهم من تسلق أي سطح بسهولة.

بدأت المعركة وقتها بعد فترة طويلة من السلام بين الزائرين الجدد، والسكان الأصليين بعد أن اتفقوا مع

حاكمهم " السانوري " القائد، حيث إنه الأقوى، و
الأضخم حجمًا فيهم.

أقسم الطرفان على التعايش بعد أن تعاهدا على
اقتسام المياه القليلة في الأساس على سطح كوكب
" إكس " الجاف. بعد فترة قصيرة من الوقت لم يعد
الماء يكفي البشر المتكاثرين بسرعة خصوصاً وهم لا
يتحملون الجفاف كما يتحمله العمالق. قرّر قائد البشر
سليمان في حينه ألا بديل من أن يأخذوا حصّة زائدة من
المياه، وهنا بدأ الهجوم المشؤوم لمسّحيهم بسلّاحهم
" الليزري " الفتّاك المتبقّي معهم منذ هروبهم في
" مراكب الشمس الفضائية " إلى هذا الكوكب القاسي.

كل ذلك دار في عقل آدم وهو يسمع صوت انقباضات
أمعاء حيوانات الرمال المميزة، وهم يبتلعون الرمال في
باطن الكوكب الأحمر.

تجمع سكان المستعمرة. أصوات النساء والأطفال
ازدادت حدّة وارتفاعاً فامتزجت بمشاعر الخوف مما
سيحدث خاصة مع تناقص أفرادهم بسبب ندرة الغذاء،
والأمراض المتكررة التي عصفت بهم، فجعلتهم
يتساقطون واحداً تلو الآخر كأوراق الخريف الجافّة.

اقترب نهارُ هذا الكوكب على الانتهاء، ولكنَّ تجمُّعَ الناسِ داخلَ السور لم ينفُض، والرعب يملأ القلوب، حاول القائدُ المخضرمُ سليمان التظاهرَ بالثبات. نادى بصوته العالي في السكان ليطمئنهم بكلماته الحماسية: لا تخافوا .. سننتصرُ .. لن يتمكنوا من غزو مستعمرتنا التي بنيناها بدمائنا، ودماء إخواننا .. هؤلاء الهمجيون لن يتمكنوا منا، فما معنا من أسلحة فتَّاكة سيقوم بالمهمة وسنقضي عليهم كما فعلنا سابقًا .. هذه أرضنا الجديدة لن نتركها أبدًا.

قاطع العجوزُ آدم حديثَ سليمان المتفائل قائلاً: من الذي سينتصرُ يا سليمان؟ مستعمرتنا شاخَتْ، ومن تبقى منا لا يستطيع حمل السلاح ليدافع عن هذا المجتمع المريض، ورائحةُ أيدينا ملوثةٌ بدماءِ عماليق الصحراء، ونحن من نقضنا عهدنا في السابق، وهذه هي لعنةُ الدَّم.

ظهر للجميع جليًّا أنَّ قائدهم لا يجدُ ما يردُّ به حُجج العجوز آدم ، ومع ذلك فقد أدركوا جميعًا ألا مفرَّ من الحرب إلى النهاية.

بدأ سليمان في توزيع البنادق " الليزرية " على السكان ليبدووا في الاستعداد للغزو المرتقب. تراصُّوا

أعلى أسوار المستعمرة ليغطوا كافة الاتجاهات بجانب
الحراس قليلي العدد.

صوت الحفر يزداد بالتدريج معلناً اقتراب
العماليق، و حيواناتهم الضخمة من الأسوار. أمر
سليمان بتوجيه المصابيح الكهربائية، والتي تُخزن
طاقة النجم الساطع الذي يدور حوله الكوكب " إكس "
لتضاء الصحراء الحمراء المحيطة.

كشف الضوء الساطع عن جيش هائل مكون من
عدد لا يحصى من أفراد العماليق يحيطون بالسور من
كل مكان تتقدمهم حيواناتهم الضخمة بعد أن خرجوا من
عمق الرمال الحمراء.

أشرقت شمس هذا الكوكب الأحمر، والقَتلى من كلا
الفريقين في كل مكان بما فيهم أشباه الأفيال الضخمة،
والحرائق، والدخان المتصاعد يملأ كافة الأرجاء.

لم يتبق إلا عدد قليل من العماليق، وسكان
المستعمرة يسرون في خط مستقيم خلف بعضهم
البعض بعد أن تم تقييد أعناقهم، وأيديهم بسلاسل
معدنية ليتم استعبادهم بالغزاة الجدد الذين ظهروا فجأة
في سماء الكواكب الحمراء قبل حرب العماليق، والبشر

مباشرة ليطلقوا دفعات متوالية من المقذوفات شديدة الحرق، والانفجار من مركباتهم السوداء الدائرية المدججة بالأسلحة حيث حوّلت كلا الفريقين إلى جثث متفحمة في لحظات بينما تبخّرت أجساد بعضهم من شدة الاحتراق لتبدأ مرحلة جديدة لمستعمر جديد أقوى من المتحاربين السابقين، واستُعيدَ مَنْ تبقى منهم ليعملوا عمّالاً في استخراج هذا المعدن العالي الطاقة، والموجود بغزارة في تربة هذا الكوكب، وتسبب في إضفاء هذا اللون على رماله الناعمة.

نَفَقُ الهمالايا

تابعَ الجميعُ الحَفَرَ في هذا النَّفَقِ شِبْهِ المَظْلَمِ،
والكائنِ على عمقِ عَشْرَاتِ الأمتارِ في قلبِ جبالِ
" الهمالايا " الوعرةِ شمالَ شبه القارةِ الهنديةِ الغارقةِ،
والتي تحملُ في بطنِها هذا المعدنَ عالي الطاقةِ،
والمكتشفَ حديثاً قبلَ الحربِ العالميةِ الأخيرةِ من قبلِ
الباحثينَ الروسِ، وتَمَّ تسميتهُ فولجا، حيثُ كان حوضُ
نهرِ الفولجا في روسيا الفيدراليةِ هو أولُ مكانٍ تَمَّ
اكتشافُ هذا المعدنِ فيه، والذي أصبحَ من المؤكَّدِ وقتَها
أنَّ مصدرَهُ نيزكٌ عملاقٌ ضربَ سيبيريا في أوائلِ القرنِ

العشرين، وتباعاً بدأ التنقيب عنه في كافة أنحاء العالم بعد أن تفرقت الشّظايا في كل مكان.

الإرهاق سيّد الموقف، العمّال وعلى رأسهم الشيخُ المُسنُّ لا يستطيعون التّوقّف بالرغم من ثقل العمل الشّاق، يدركون أنّ تلك الحلقات المعدنية المعقودة حول رقبتهم بواسطة قيادة الجنود الآليين الذين يراقبونهم عن كثبٍ عن طريق متابعة معدّل ضربات القلب حيث إنّ أيّ تناقصٍ في معدّل ضربات قلب العامل سيكون علامةً للآلات أنّ هناك تراخٍ في العمل، وسيكون الموتُ هو العقابُ لهذا القلب المُتراخي.

نظر المُسنُّ إلى زملائه من شبابِ العمّال وعيناهُ تمتلنان بالأسى وعلاماتِ التعبِ والإجهادِ، فهم يدركون جميعاً ما الذي سوف يحلُّ بهذا الشيخ لو توقّف عن الحفر في هذا النّفق اللانهائي.

بعد مرور دقائق قليلة، سيُرسل هؤلاء الأسياد مُسَيَّرَاتِهِم الطائرة التي تحملُ طلقاتٍ حارقة، وتستطيعُ أن تصيبَ البشرَ في مقتلٍ بعد أن تتعرّف عليهم من خلال الحلقة المعدنية، ورقمها الكودي.

جميعَ البَشَرِ تَحَوَّلُوا إِلَى أَرْقَامٍ بَعْدَ سَيْطَرَةِ
الآلَاتِ الَّتِي تَتَجَمَّعُ فِي قِمَةِ الْجَبَلِ الثَّلْجِيَّةِ فِي غُرْفِهِمُ
الْمَعْتَدِلَةِ الْحَرَارَةِ، وَلَوْلَا عَدَمُ قُدْرَةِ تِلْكَ الْمَاكِينَاتِ عَلَى
تَحْمِلِ الطَّاقَةِ الْمُنْبَعَثَةِ مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ لَقَضُوا عَلَى
جَمِيعِ الْأَحْيَاءِ مِمَّنْ تَبَقَّوْا بَعْدَ غَرَقِ مُعْظَمِ قَارَاتِ الْعَالَمِ
الْمَعْرُوفَةِ بِسَبَبِ ذَوْبَانِ ثُلُوجِ الْقُطْبَيْنِ الشَّمَالِيِّ
وَالْجَنُوبِيِّ نَتِيجَةً لِنَفْجَارَاتِ النَّوَوِيِّ بَيْنَ الْقُوَى الْعُظْمَى
فِي آخِرِ مَعَارِكِهِمْ، وَالَّتِي شَمِلَتْ كَافَّةَ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ.

أَكْمَلُوا جَمِيعُهُمُ الْعَمَلَ دُونَ تَوَقُّفٍ كَنَمَلٍ جَبَلِيٍّ نَهْمُ.
تَرَدَّدَ صَوْتُ الصَّفَارَةِ الْمَعْلَنَةِ عَنْ تَوَقُّفِ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ
الرَّاحَةِ حَيْثُ يَشْرَبُونَ الْمَاءَ، وَيَتَنَاوَلُونَ تِلْكَ الْكَبْسُولَاتِ
الْغَذَائِيَّةِ الْمَوْزَعَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِ الْآلِيِّينَ، وَتَحْمِلُ كُلَّ
مَتَطَلِبَاتِ الْجِسْمِ مِنْ طَاقَةٍ، وَبَرُوتِينَاتٍ، وَمَعَادِنٍ تَشْحُنُ
أَجْسَادَهُمْ بِالْقُوَّةِ اللَّازِمَةِ لِاسْتِكْمَالِ الْحَفْرِ الْمُسْتَمِرِّ، عَادَ
الْعَمَالُ إِلَى النَفَقِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ هَذَا الشَّيْخُ الْمُسِنَّ الَّذِي
يُكْنُونُ لَهُ كُلَّ احْتِرَامٍ، وَتَقْدِيرٍ فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لَهُمُ الْأَبُ
الَّذِي لَمْ يَرَوْهُ مِنْذُ أَنْ تَمَّ أَسْرُهُمْ أَطْفَالًا مِنْ قِمَمِ
الْجِبَالِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي كَافَّةِ مَحِيطَاتِ الْمَعْمُورَةِ، وَالَّتِي
صَمَدَتْ أَمَامَ طُوفَانِ الْمِيَاهِ الْهَادِرِ. تَابَعُوا الْحَفَرَ كَعَادَتِهِمْ
وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَخَذُوا يُنْشِدُونَ الْأَغَانِي الَّتِي حَفَظَتْهَا
صُدُورُهُمْ عَنْ هَذَا الْمُسِنَّ، أَزْدَادَتْ حَدَّةً غَنَائِهِمْ بِالتَّدْرِيجِ

مع توقُّفِهِم المَفاجِئِ عن العملِ، واقتِرانِ غنائِهِم بالتصفيقِ الحادِّ، تابعِ الآليُّونَ هذا المشهدَ من خلالِ كاميراتِ المراقبةِ المثبَّتةِ في كلِّ مكانٍ بالنَّفَقِ.

قَرَرُوا أَنْ يُرْسِلُوا المُسَيَّرَاتِ بعددٍ كبيرٍ مع إعطائِها أَمراً بعدمِ القتلِ لأنَّ الصَّخَبَ جماعيًّا، وتصفيَةُ الجميعِ يعني خَسارتَهُم لاستخراجِ معدِنِ الفولجا الثمينِ لشهورٍ.

تجمَعُ الرجالُ يتقدَّمُهُم الشَّيْخُ المُسِنَّ في مدخلِ النَّفَقِ منتظرينِ المُسَيَّرَاتِ، والتي حتَمًا ستأتي لتقضيَ عليهم.

جاءتِ المُسَيَّرَاتُ في وقتٍ قصيرٍ للغاية كما توقَّعَ الجميعُ. لم يمضِ وقتٌ طويلٌ من وصولِها إلى مدخلِ النَّفَقِ العميقِ حتَّى حدثَ انفجارٌ هائلٌ لتتحولَ قِمَّةُ الهمالايا وما عليها من بشرٍ وآيينٍ ومُسَيَّراتٍ إلى شظايا يقدِّفُها الانفجارُ الشَّديدُ إلى قاعِ المحيطِ، فقد أشعلَ العجورُ وَمَنْ معه من عمَّالِ النَّارِ في قلبِ مَنْجَمِ المعدِنِ عاليِ الطاقةِ بعدَ أَنْ تمكَّنَ التَّصفيقُ الحادُّ والغناءُ من تشتيتِ المراقِبينَ من الحرسِ لينفجرَ النَّفَقُ ويتخلَّصَ جميعُهُم من حياةِ العبوديَّةِ والقهرِ والشقاءِ.

فُلكُ نُوحٍ

تعالَتْ أصواتُ مِذياعِ السفينةِ الفضائيةِ الضَّخْمَةِ
معلنةً وبنبيرةٍ حادةٍ عن اجتماعِ هامٍّ مع القائدِ الرَّبَّانِ
عاصمٍ موعدهُ الساعةُ التاسعةُ عشرةً من يومِ غدٍ
بتوقيتِ جرينتش الأرضي في قاعةِ الاجتماعاتِ الكُبرى
الكاننةِ في قلبِ السفينةِ.

استرعى هذا الإعلانُ اهتمامَ جميعِ سكانِ
المستعمرةِ، فهذا النوعُ من الاجتماعاتِ لا يحدثُ إلا في
حالاتِ الضرورةِ القصوى، سفينةُ فلكِ نوحِ ١١ هي
إحدى السفنِ الفضائيةِ القليلةِ المتبقيةِ من تلكِ الهجرةِ

الْكُبْرَى للبشر من كوكب الأرض إلى بحر الفضاء الشَّاسِعِ.

صممت السفن الملاحية الفضائية لتكون بمثابة طَوْقِ النجاة الأخير لبني الإنسان بعد أن أصبح كوكبهم غير صالح للحياة بسبب التلوث الشامل، وارتفاع درجة حرارته، وحالة طقسه غير المستقرة.

سفينة فلك نوح ١١ تسبح في فضاء الكون هائمة على وجهها بين ملايين المجموعات الشمسية النجمية، والتي تفيض بها مَجَرَّةُ دَرْبِ التَّبَّانَةِ الشَّاسِعَةِ، صممت تلك المَرَكَبَاتُ الفضائية لتكون بمثابة مُدُنٍ طائرة، فتصميمها المِغْزَلِيُّ الشكل يدور حول مركزه في ثبات وانتظام بفعل محركها الضخم الذي يعمل بالطاقة النووية الهيدروجينية المتجددة، والذي يمكن ساكنيها من الاستمتاع بجاذبية معقولة تجعلهم يمارسون حياتهم داخلها بكل سهولة ويسر.

الرَّيَّان عاصم هو أحد أفراد الجيل الثاني لقاطني السفينة الفضائية، وقد تعلَّم في مدرستها وجامعتها التكنولوجية لِجَهْزِ كَمَلَّاحٍ لتلك المدينة السَّابِحَةِ، يسيّر العمل داخلها بانتظام كخلية نحل، فهناك المئات مِمَّنْ يطعمون السفينة عن طريق الزراعة الفضائية

المتطوّرة داخل مجمّعاتٍ زراعيّةٍ ضخمةٍ وعمودية تُروى بالمياه المكثّفة على أسطح السفينة الملساء، وهناك أيضا المسؤولون عن التعليم في مدرسة السفينة وجامعتها الوحيدة، وآخرون من الأطباء والممرضين ممّن يتولّون تقديم الرّعاية الصحية، وأفراد الأمن والحراسة، والقضاء، وهؤلاء الموكّل إليهم ضبط الأوضاع الأمنيّة، وتنظيم العمل، ومعاقبة من يخرج عن السّيّاق نَحليّ الإيقاع بالسجن في سُجون السفينة أو حتّى باعدام المُذنب بقذفه إلى الفضاء ليتجمّد فيموت على الفور.

تمثّلت مهمة عاصم في قيادة فُلك نوح، وفي نفس الوقت البحث عن أيّة مجموعة نجميّة يعتقّد علماء السفينة أنّها تحمل في مدارها كوكباً يصلح لاستعمار البشر.

مَضَى على إطلاق السُّفن المُهاجرة قرابة الثلاثين عاماً منذُ هجرتهم العظيمة إلى الفضاء بعدَ فناء البشريّة تقريباً لتحمل تلك السفنُ خيرة أغنياء الكوكب وقادته ممّن تمكّنوا من الالتحاق بِرِكّاب السُّفن مع بعض المواطنين من كافّة أنحاء العالم، والذين تمّ اختيارهم عن طريق الاقتراع العشوائيّ.

مع مرور الزمن أصبح جيلُ الرِّبَّانِ عاصم هو الحاكمُ والمُسَيِّطِرُ سياسياً على المستعمرةِ السابحةِ في الفضاءِ بينما الشيوخُ، والعجائزُ من رَوَادِهَا تَقَوَّقَعُوا على أنفسهم في أغلبِهِمْ لأنَّهم أدركوا بعدَ وقتٍ قصيرٍ أنَّ حُلْمَ الوُصولِ إلى أرضٍ بديلةٍ تحوَّلَ إلى سرابٍ. جاء الميعادُ المحدَّدُ للاجتماعِ الهامِّ، تجمَّعَ سَكَّانُ سفينةِ فلكِ نوح ١١ في القاعةِ الضَّخمةِ بالآلافِ.

صعدَ (عاصمُ) بخطواتِهِ الثابتةِ الرشيقةِ، وبزيِّهِ الفضائيِّ الفِضِّيِّ المميِّزِ إلى منصَّةِ القاعةِ ليبدأ في إعلانِهِ الهامِّ مخاطباً الجميعَ: أهلي وإخواني سكانِ فلكِ نوح ١١، سأكونُ مختصراً في حديثي إليكم فالوقتُ يداهمنا جميعاً، يبدو أننا أخيراً اقتربنا من الوصولِ إلى كوكبنا البديلِ، والذي عَثَرَ عليه علماءُنا في مجموعةِ شمسيَّةٍ قريبةٍ تُدعى (أ - ح - ألفا) الكوكبُ المنشودُ له غلافٌ جَوِّيٌّ، ويمتلئُ بِالْبَحَارِ والمحيطاتِ التي تحتضنُ مجموعةً متفرِّقةً من القارَّاتِ الصغيرةِ، والتي قد تكونُ نواةً لمستقبلٍ واعدٍ للبشريةِ مرَّةً أُخرى، لا أحدَ يعلمُ ما الذي ينتظرنا هناك، ربَّما يكونُ صالحاً للحياةِ، وربَّما يكونُ مسكوناً بمخلوقاتٍ عاقلةٍ، كلُّ الاحتمالاتِ واردةٌ، ولذا يجبُ أن يتَّخَذَ كلُّ واحدٍ مِنَّا القرارَ، مَنْ سيتركُ السفينةَ ويذهبُ إلى الكوكبِ الجديدِ

و مَنْ سيبقى هنا في الفُلكِ، وللعلمِ فالهجرةُ إلى كوكبٍ هي رحلةٌ باتّجاهٍ واحدٍ بلا أيِّ أملٍ في العُودةِ إلى الفضاءِ مرّةً أخرى، حيثُ يمنعُ الغلافُ الجويُّ السميكَ لهذا الكوكبِ المنشودِ أيَّ اتصالٍ بين المهاجرين والسفينةِ الأمِّ، لدى كلّ سكانِ المستعمرةِ ثمانٍ وأربعونَ ساعةً للتفكيرِ واتخاذِ القرارِ " والله غالب على أمره " .

ساد الوجومُ والحيرةُ بين سكّانِ الفُلكِ، القرارُ صعبٌ للغاية، وكلا الخيارين مُرٌّ.

مَرَّتِ المهلةُ المحدّدةُ كدهرٍ من الزمنِ على الجميع. جيلُ الشبابِ قرَّرَ معظمُهم البقاءَ في السفينةِ الفضائيّةِ الضخمةِ، فقد تَرَبَّوْا وترعرعُوا فيها، وأصبحتْ هي عالمُهم الوحيدَ، بينما قرَّرَ العجائزُ، والشيوخُ المغادرةَ إلى المجهولِ، فحياتهمُ في الفُلكِ أشبهُ بالسجنِ الفضائيِّ الكبيرِ.

بعد رحلةٍ شاقّةٍ دامتُ ثلاثةُ أيّامٍ، وصلتِ المركبتانِ المخصصتانِ إلى سطحِ الكوكبِ الجديدِ بعدَ أن استطاعتِ بطيّارها الآليُّ التحكّمَ اختراقَ غلافِ الكوكبِ الجويِّ المتعدّدِ الطبقاتِ.

هبطت أقدامهم أخيراً على ثرابِ هذا الكوكبِ
الشَّابِّ ليجدوا أمامهم أشجاراً وارفةً، وأنهاراً ممتدةً
مع شمسٍ ساطعةٍ، وجوٍّ معتدلٍ.

تذكَّروا الأرضَ القديمةَ التي تركوها منذُ عُقُودٍ،
بدأوا في إقامةِ حياةٍ جديدةٍ لمستعمرةٍ بشريَّةٍ من
المسنَّين سيقضون فيها آخرَ أيامِ حياتهم بلا أيَّةِ قُدرةٍ
على ولادةِ أجيالٍ جديدةٍ حيثُ فضَّلَ الشَّبابُ البقاءَ في
هذا السَّجنِ الفضائيِّ الهائمِ في الفضاءِ.

زِيَارَةٌ

بدأت الزيارة المدرسيّة لهذا الأثر الهامّ في تلك المدينة الأثريّة المهجورة .

مجموعة من المباني الضخمة والمُحاطة بالأشجار التي نبتت على أسطح وجدران وأعمدة هذا الصّرح الهائل المعبر عن حضارة زائلة منذ آلاف السنين، و انتهت إلى أنها أصبحت أرضاً خصبةً لنمو المتسلّق من النباتات، والحشائش التي تخرج من الأرض دون تدخل من أحد. هبط المعلم مع تلاميذه إلى سطح التلّة

المرتفعة من المركبة الطائرة التي تقلهم والتي سافرت مسافة طويلة من مدرستهم المقامة في المدينة أطلانتس، والكائنة في قلب المحيط الأطلنطي هضبة عالية تتلاطم على أحجارها الأمواج البحرية العالية.

بدأت الجولة الدراسية بكلمة موجزة من المعلم الجاد لتلاميذه المتشوقين لسماع حكاية هذه الأطلال القديمة والشامخة عبر الزمن ضد عوامل التعرية، وتقلبات المناخ الحادة.

اتسعت أعين التلاميذ لسماع كلماته الحماسية: هنا في هذا المكان منذ أكثر من سبعة آلاف عام تقريباً، كانت أعظم حضارة بشرية عرفها العالم القديم، دولة عظيمة تملك القوة والنفوذ الذي يتحكم في باقي أجزاء الأرض القديمة، دعونا نسير خطوات قليلة لنبدأ في زيارة كافة أرجاء هذا المبنى شديد الاتساع.

سمح لهم بدخول المبنى بعد أن أظهر المعلم الشاب بطاقة الهوية الخاصة به لأحد رجال الأمن المنتشرين في نقاط محددة في المبنى كحراسة لهذا الأثر الهام. بدأ التلاميذ في إظهار علامات التعجب من ضخامة ما يرونه أمامهم من قاعات و سلالم رخامية وتماثيل ضخمة تعبر عن تاريخ بشري حافل بالرجال العظماء

الذين من أجلهم بُنِيَتْ تلك التماثيل تخليدًا لذكراهم ،
وعرفانًا بما قاموا به لوطنهم وشعبهم.

توقف المعلم المتحمس أمام باب غرفة ضخمة عالية
الأسطح، وفارغة من أي معالم بشرية، فقط مجموعة
من اللباب المتسلق التي تغطي الجدران كغطاء
أخضر، ويشمل ذلك ما بالغرفة من أعمدة رخامية.
سأله أحد التلاميذ: ما هذا المكان الساحر يا معلم؟، وما
أهمية هذه الغرفة التي نقف بها حاليًا؟ .. أشعر بأن
وراءها حكاية مثيرة.

بادره المعلم سريعًا بالإجابة: فعلاً هذا المكان كان
أهم غرفة في هذا المبنى، إنه الغرفة المخصصة لقادة
هذه الأمة القديمة، والذين كانوا يجلسون فيها ليعقدوا
المقابلات الضرورية التي يطلعون من خلالها على
شئون شعبهم، والعالم أجمع.

ساروا قليلاً كمجموعة واحدة حتى وصلوا إلى
بهو ضخم ذي سقف عالي الارتفاع يحمل قبة
عالية بها آثار رسومات ملونة لكائنات ترتدي ملابس
ملونة، و أحدهم يحمل حربة لها طرف به ثلاثة نصال،
ويحمل تاجاً على رأسه ممّا حرك شغف أحد التلاميذ
لسماع حكاية هذا المكان الغريب والمُبهر.

يا معلّم ما هذا الصرّخ الهائل؟ مَنْ سكّنه في هذا الزمن البعيد؟ وما هي تلك الكائنات الغريبة الظاهرة في تلك الرسومات؟.

ردّ المعلّم وهو سعيدٌ للغاية بهذا السؤال الذي يوضّح قدرة الأثر على شدّ انتباه التلاميذ: هذا المكان هو أعلى جزء في هذا المبنى العظيم، إنّه فُبةٌ عالية بيضاء تمّ تزيين جدران قلبها الداخلي الضخم برسومات فنان من هذا العهد البائد، وقد قام بتصوير كائنات خيالية مستمدة من خلفية تاريخية لحضارة أخرى تُسمّى الحضارة الإغريقية، وتصور إله البحر " بوسيدون " وحرّبتّه المميّزة تعبيراً عن الرعاية الإلهية الأسطورية لتلك الأمة الفتية.

واصلوا السير لمسافة قصيرة حتى انتهوا إلى غرفة واسعة تمتلئ ببقايا تماثيل ضخمة متنوّعة على طابقين، وسقف الغرفة غير موجود لتماماً أشعة الشمس المكان، بالإضافة إلى الطيور والنباتات المنتشرة في كافة أرجاء المكان.

لم ينتظر المعلّم سؤال تلاميذه للاستفسار عن طبيعة القاعة المتواجدين بها ليبدأ في وصفها تلقائياً: هذه القاعة تضم تماثيل متنوّعة لقادة هذه الأمة، والتي تمثل

الأقاليم المختلفة في تلك الدولة الشاسعة لتعبر عن امتنانهم لكل من ساهم في بنائها، وتطورها وتقدمها على كافة دول العالم.

باغتة أحد التلاميذ بسؤال تقريبا دار في ذهن معظمهم: إذا كانت تلك الأمة عريقة وقوية إلى هذا الحد، فلماذا انهارت حضارتها في النهاية؟.

اجابة المعلم الذي اعتاد على هذا السؤال المتكرر في كل زيارة لهذه الأطلال البائدة: إنه الظلم، والتجبر على باقي الأمم المختلفة، والمتنوعة الثقافات، والانتماءات، كل ذلك بسبب القوة العاشمة الممثلة في جيش هائل مكون من أسلحة قوية فتاكة، أدى ذلك في النهاية إلى تصادمها مع دول العالم أجمع، وانذلعت الحروب المتتالية، والفتن التي أدت إلى انهيار الحضارة البشرية في النهاية بسبب التلوث الذري الشامل، وارتفاع مستوى البحار، والأهم ظهور عدد كبير من الأوبئة التي عاودت الحياة بعد أن كانت كامنة في جثث الحيوانات المتجمدة في القطبين الشمالي والجنوبي للعالم، في النهاية انقرض البشر، ومن تبقى منهم انطلق إلى الفضاء الشاسع بسفن ضخمة يبحث عن

كوكبٍ مناسبٍ للحياةٍ تاركاً الأرضَ القديمةَ في خرابٍ ودمارٍ.

جاءَ وقتُ السُّؤالِ الأهمِّ الذي انتظرَهُ التلاميذُ منذُ بدايةِ الزيارةِ المدرسيةِ، فتطوَّعَ أحدهمُ بسؤاله: يا أستاذنا.. كيف بدأتَ حضارتنا على ظهر هذا الكوكبِ بعدَ كلِّ هذهِ الكوارثِ التي حاقتْ بهِ؟.

رد المعلم في اهتمام بالغ: أجدادنا القدماءُ عاشوا على سطحِ هذا الكوكبِ الشابِّ قبلَ حضارةِ البشرِ بآلافِ السنينِ داخلَ قارَّتِهِم أَطلنَّتس العظيمةَ ثم بدأتَ حضارةُ البشرِ في النهوضِ، لذا أثَّرَ أجدادنا السلامُ، وعدمُ الاصطدامِ بتلكِ المخلوقاتِ العدائيةِ فتركوا الكوكبَ، وقارَّتَهُم الضخمةَ بعدَ أنْ تمَّ إخفاؤها في قلبِ المحيطِ في باطنِ الأرضِ، وعادوا مرَّةً أخرى إلى موطنِهِم الأصليِّ خارجَ المجموعةِ الشمسيَّةِ " كوكبِ تاء ٤"، ولكنَّهُم استمرُّوا في متابعةِ الأرضِ عن كُتَبٍ من قاعدتِهِم القمريةِ، وعندما حدثَ ما توقَّعُوهُ وانتهى البشرُ بدمارِ الكوكبِ عادَ الأجدادُ مرَّةً أخرى وأصلحوا ما خربَهُ بنو الإنسانِ.

انتهت الزَّيَارَةُ المدرسيَّةُ إلى آثارِ بقايا مَبْنَى
" الكونجرس " للحضارةِ الأمريكيَّةِ البائدةِ.

جاءتِ المركبةُ الطائرةُ لتقلَّ هؤلاءِ المخلوقاتِ
الفضائيَّةِ العملاقةِ، والشبيهةِ بالبشرِ المنقرضينَ،
والذين أعادَ أسلافُهُم الحياةَ لكوكبِ شابٍّ كادَ أنْ
يحتضرَ.

الْأَقْزَامُ

رحلة شاقّة تلك التي قطعها هذا الرحالة العربيّ الشهير " سعدون " الذي استطاع أن يجتاز الصحراء الكبرى بمفرده فقط بمساعدة أدواته البسيطة من بوصلة، ومياه قليلة يتزوّد بها عند وصوله إلى أيّ واحة قريبة، بالإضافة إلى الأحذية المعززة بتلك القواعد العريضة من الأسلاك المتصلة بإطارٍ من الخشب القويّ الهادفٍ لحمايته من الغوص في تلك الرمال الناعمة

للصحراء القاسية، حاملاً على ظهره ذلك الحِمْل الكبير من مكونات التخيم المطلوبة لنصب بيت في المساء، استطاع أخيراً الوصول إلى هذا المكان الساحر، والذي يسمّى كهوف " صحراء تاسالي " في جنوب شرق دولة الجزائر التي كثيراً ما سمع عن تلك الكهوف المنحوتة في الأحجار بالقدرة الإلهية.

الرسوم المحفورة بواسطة القدماء على أسطح جدران تلك الكهوف لطالما أثارت اهتماماً، حيث يعشق المعرفة التاريخية خاصة غير المعلومة حقيقتها عن طريق العلم.

بمجرد أن شاهد النقوش البدائية - التي تم تقدير عمرها بعشرات الآلاف من السنين - أدرك تماماً كيف أن ما درسه من علوم طبيعية يتجسّد أمامه كإنسان ينتظره، فالرسوم تصوّر الأقدمين، وهم يصطادون حيوانات استوائية ضخمة كالزراف مما يؤكّد حقيقة أن تلك المنطقة كانت مطيرة، وخضراء في كل مكان قبل أن تجفّ وتتحول إلى صحراء.

سأله أحد رجال قبائل " الطوارق " أسمر اللون، نحيف القوام الذي يسكن تلك الصحراء الصفراء الممتدة

مع قبيلته: تبدو عربيًّا، لست إفرنجيًّا مثل الزُّوار
الأجانب دائمي التَّرَدُّد على كهوف صحرائنا الشهيرة.

اندهش سعدون من لُكْنَةِ الرجل التي كانت باللغة
العربية الفُصْحى فسأله في تعجُّبٍ: يبدو أنك تعرف
العربية يا رجل .. " غريبة والله ".

جاوبهُ القبليُّ في سماحةٍ غيرِ معتادةٍ في رجال
الصحراء الخشنين بطبيعتهم: لقد تعلمتُ العربية أثناء
دراستي في الجامع الأزهر بمصر، ولكني لم أكمل
الدراسة حيث عدتُ لأعملَ في حراسة السائحين،
سيعجبك المكان، ولكن أرجوك لا تمكثُ هنا بعد غروب
الشمس.

لم يفهم سعدون سببَ تحذير ابن قبيلة " الطوارق "،
ولم يهتم، فترحاله المستمر شحَن قلبه بشجاعة مكتسبة
من مئاتِ المواقف الصعبة التي تعرَّضَ لها. اقترب
النهارُ من المغادرة، ومازال يطالعُ رسوماتِ الكهوف
الغريبة، في إحدى هذه الرسوم المنحوتة على جدارية
واسعة الأبعادِ ظهرت رسوم غير مفهومةٍ كان قد قرأ
عنها سابقًا، وتوضَّح أشخاصًا قدامى يرتدون أزياءً
تشبه ملابس رُوادِ الفضاء في عصرنا الحالي، وآخرين

مختلفين شكلاً، وتحمل أجسادهم الصغيرة رؤوساً كبيرةً
بالإضافة إلى شكلٍ دائريٍّ أشبه بالطبق المقلوب.

باغته الظلام الذي سيضطره لأن يبيت ليلته في
الصحراء المجاورة للكهوف.

منعته الريح العاصفة من نصب خيمته بالعراء،
وعاد ليدخل بين جدران الكهوف، والتي ستحميه من
قوة الرياح السريعة. صفير الريح العاتية، والذي يحدث
عندما تتلاقى مع جدران الكهف جعله غير قادر على
النوم.

مازالت كلمات القبلي تسري في أذنه. أقنع نفسه
بتوقع ابن القبيلة أن الرياح ستمنعه من المبيت ليلاً
خصوصاً مع برودة الطقس الشتوي الصحراوي
القارس. ازداد ارتفاع صوت صفير الريح، وظهرت له
في الظلام بقعة ضوئية بيضاء صافية جلية وسط هذا
السواد الغالب على المكان. انتفض من نومه متوجهاً
صوب الضوء الساطع، ازداد وضوحاً بالتدريج كلما
اقترَب منه أكثر فأكثر حتى أصبحت بقعة الضوء قريبةً
منه للغاية.

هنا أدرك الرّحالة المغامر أنّ ما يراه أمامه هو ما لا يمكن تفسيره. مدّ يده المغطاة بقفازٍ جلديٍّ سميكٍ ليجد أنّ يده تسبّح داخل ماءٍ ثَقِيلٍ.

تحركّ بباقي جسده ببُطءٍ إلى أن وجد نفسه يسقط فجأةً في هُوّةٍ عميقة من هذا الماء الثقيل، والذي استطاع فيه التنفس بشكل غير مفهومٍ ليهبط بسرعةٍ بطيئةٍ، وهو يحاول اختراق المياه لأعلى، ولكن كان هناك شيءٌ ما يجذبه إلى القاع حاول بقدر ما استطاع، ولكنّه استسلم أخيرًا، وغاب عن الوعي.

بعد مرور ساعاتٍ استيقظ سعدون من النّوم على صوت الحارس " الطوارقيّ "، فتح عينيه ليجد الرجل ينظرُ إليه في غضبٍ، ويتحدثُ معه في حِدّةٍ: ألم أحذرك من المكوث ليلاً في هذا المكان؟ أتدرك الآن سبب تحذيري لك؟ لا تخبر أحدًا بما رأيت، فهؤلاء الجان الأقزام العُتاة لا يرحمون أحدًا قد علم سرّهم وأفشاهُ، هذا المكانُ مسكونٌ منذُ قديم الزمان، وأحذرك مرةً أخرى من الحديث عما رأيت.

انتفض الرّحالة من نومه، فانطلق تاركًا أدواته في الكهف ليتحرك مع أقرب مجموعةٍ سياحيةٍ عائدة إلى

الجزائر العاصمة حيث سيسافر عائداً إلى بلده من مطار
"هوارى بو مدين" كان ما رآه صادمًا بكل المقاييس.

لم يكن عالماً من الأقزام العفاريت كما ذكر ابن قبيلة
الطوارق بل هؤلاء الأقزام ما هم إلا نحن البشر في
المستقبل بعد آلاف السنين من التطور الجسدي حيث
وهنت أجسادهم، وصغرت أطرافهم من فرط الاعتماد
على الآلات مع ازدياد حجم المخ المتطور.

هؤلاء الأقزام يخدمهم بشرٌ بدائيون ضخام الأجساد
مستعدون من مستعمرات البشر في الكواكب البعيدة
بعد صيدهم بالأطباق الطائرة، وهذه المنحوتات على
الجدران ما هي إلا رسومات الفارين من هذا الاستعباد
عبر هذا الثقب الزمني الموجود في هذا المكان
الصخري، وينقل أي كائن حي في لحظات بين أزمان
متباعدة للغاية، استطاع سعدون الهروب من هؤلاء
الأقزام الذين يتحدثون بطريقة التخاطر العقلي دون
كلام معبر عن مكنون صدورهم.

لقد تركوه يهرب عبر نفس الثقب الزمني ليعود إلى
عالمه بعد أن أدركوا أن هذا الشاب نحيف القوام غير
مجدٍ لأعمالهم الشاقة ، والتي تحتاج إلى هؤلاء البشر
البدائيين المستعبدين.

الرَّمَادِيُّونَ

اليومُ هو الثالثُ والثلاثونَ بعد المائتين من هذا الغزو
الهمجيِّ لكوكبنا الأرض من قِبَلِ تلك الكائناتِ الشرسةِ
التي أطلقنا عليها " الرماديين " وبعد أن كنَّا نحنُ
البشرَ أسيادَ الكوكبِ أصبحنا جزءًا أصيلاً من السلسلةِ
الغذائيةِ لتلك المخلوقاتِ الفضائيةِ النَّهْمَةِ، وقد
أصبحتِ الأرضُ، وكلُّ ما يسيرُ على سطحِها وليمةً
محتملةً يُفْتَكُ بها في أيِّ وقتٍ.

في صباح يومٍ مشئومٍ، استيقظنا نحنُ سكَّانَ الكوكبِ وعائلَاتنا في غربِ العالمِ حيثُ القارةُ الأمريكيَّةُ الشماليَّةُ، استيقظنا على دَوِيِّ الانفجاراتِ المتعاقبةِ، والتي بدأتْ بسيلٍ هائلٍ من النيازكِ الدائريَّةِ الشكلِ، والتي تساقطتْ كأَمْطارٍ جارفةٍ على كلِّ مكانٍ يتقدَّمُها نيزكٌ ضخْمٌ أسودٌ سقطَ في منطقةٍ " واشنطن " العاصمة ليدمرَ كل ما يعترضُ طريقه.

تخيَّلنا في بادئِ الأمرِ أنَّها كارثةٌ كونيةٌ تسببتْ فيها الشوارِدُ من نيازكِ الكونِ الفسيحِ التي تهيمُ بين المجموعاتِ الشمسيةِ، لكنَّ بعدَ وقتٍ قصيرٍ، وبينما يستفيقُ العالمُ من هذه الكارثةِ الأرضيةِ سرعانَ ما انشقتْ تلكَ الأحجارُ لِتُخْرِجَ من قلبِها الرَّمَادِيَّ اللونِ وحوشًا أبدانُها ضخمةٌ، وتشبهُ زواحفَ الديناصوراتِ المنقرضةِ لكنَّ بحجمٍ أصغرَ، وذكاءٍ حادٍّ مع قدرةٍ عاليةٍ على تعقُّبِ الفرائسِ من البشرِ والحيواناتِ والتهامها في لحظاتٍ عن طريقِ تَتَبُّعِ حرارةِ الأجسادِ الهاربةِ، بالإضافةِ إلى رؤيةٍ ثابتةٍ تجعلها تمارسُ الافتراسَ كرياضةٍ يوميةٍ روتينيةٍ.

بدأتِ المقاومةُ بتجمُّعِ الجيوشِ العالميةِ للمعركةِ الحاسمةِ مع هؤلاء الفضائيين خارقِي القوةِ.

تخيلنا أنَّ ما نملكه من أسلحة كافٍ للتغلب على تلك
الزواحف منتصبه القامة، لكنَّ العكس هو ما حدث، فلم
نتوقَّع تلك الهزيمة المريرة.

ما هي إلا ساعاتٍ وقد تمَّ سحقُ جيوشِ البشر تحت
ضرباتِ أسلحتهم من مدافع نبضات الطاقة
" الكهرومغناطيسية " والتي تُوقِفُ وتُسَلِّ قُدرةَ
الآلاتِ تمامًا عن العملِ عن طريق وقفِ نشاط دوائرها
الكهربائية لتصبح أصنامًا تنتظرُ دورها في التَّخْطيمِ
بفعلِ أشعةِ الرمايين الفتَّاكة.

وَكَحَلَّ أخيرٍ تم إطلاقُ الآلافِ من الرؤوسِ النوويةِ
على قواتِ الغُزاة لتتحوَّل الأرضُ إلى مَحْرَقَةٍ نوويةِ
هائلةٍ شَمِلَتْ كافَّةَ أنحاءِ العالمِ، وكان الشتاءُ النوويُّ
كفيلًا بالقضاءِ تمامًا على حياةِ البشر، وحياةِ هؤلاءِ
الغُزاة.

بمقدار علمنا فقط أنا وعائلتي ومجموعة من
الجيران في بلدتنا الصغيرة استطعنا البقاء على قيد
الحياة بعد أن لجأنا إلى إحدى القواعد العسكرية المقامة
داخل باطنِ الجبل الملاصق لمدينتنا حيثُ وجدنا غرماً
كاملاً منشأة داخل الكهوف الجبلية، ومصممة لتكون
مخابئاً احتياطيةً في حالات الكوارث الطبيعية، أتاحت لنا

إمكانياتها الضخمة بالعيش في سلام حيث كانت مجهزة بكافة وسائل الإعاشة من كهرباء، وتهوية مغلقة، ومخزونات كبيرة من الطعام المجفف.

لم نستطع التواصل مع أيّ بشري آخر حيث انقطع الاتصال بيننا وبين باقي العالم، و ربما يكون قد نجا آخرون في مناطق أخرى من هذا العالم المتعافي من هذه الكوارث المتعاقبة، وأهمها القضاء على هؤلاء الغزاة " الرماديين "، ولكن مع ثمن فادح من فناء للبشرية وحضارتها التي تراكمت أركانها منذ آلاف السنين.

أخيراً قررنا الخروج من المخابئ بعد أن اكتشفنا أن الشتاء النووي قد انتهى، والإشعاع الذري قلّ تأثيره على البيئة المحيطة بمنطقتنا الجبلية حيث بدأنا نسمع مرةً أخرى أصوات العصافير والطيور مع كل صباح عندما كنّا نسترق السمع من خلف الجدران.

ترك والدي وأحد الشباب المخبأ لاستكشاف المكان المحيط بالقاعدة العسكرية السابقة، وفور أن اطمأنّا لخلو الأرجاء من المخاطر، بدأنا تدريجياً في الخروج للحياة مرةً أخرى، فسرنا عبر طرقات المدينة . حيث تملأ جُثث البشر المتحللة الشوارع جنباً إلى جنب مع

جثامين الرَّماديين النافقة، والتي لا يبدو عليها علامات
التَّحَلُّل الشديد مثل البشر مما يدلُّ على بقائهم فترة
على قيد الحياة قبل أن يموتوا بسبب البرودة القارصة،
و اختفاء الغذاء مع انقطاع اتصالهم مع كوكبهم الأم.

بحثنا جميعًا عن منازلنا السابقة ووصلت أنا وأبي
وأمي وإخوتي الصغار إلى منزلنا المتواضع المُقام في
طرفِ البلدة مع باقي منازل جيراننا الذين شاركونا
المكوث في المخبأ.

كم كانت سعادتي غامرةً برؤية المنزل على حاله،
ولكنَّ كانَ مغطًى بالغبار الناتج عن الانبعاثات النووية،
لم نعبأ بالغبار الملوَّث بالإشعاع فيكفينَا دخولَ منزلنا
لأول مرة منذ هذه المأساة العالمية. بينما يمسك والذي
مقبض المنزل المعدني، ويفتح البابَ الخشبيَّ له إذ بنا
نفاجاً برؤية ما صدمنا، والذي تزامن مع سماع صراخ
متصاعدٍ من المنازل المجاورة، هرعنا إلى الخارج
وأمي تبكي مذعورةً، تصرخُ بصوت عالٍ يحملُ درجةً
عاليةً من الخيبة وانكسارِ الأمل في الحياة لِمَا رأيناهُ
داخلَ جميع المنازل.

عدنا جميعًا إلى المخبأ الجبليّ لِنُغْلِقَ البوابات
الفولاذية السميكة له بإحكامٍ فهي مسألة وقت، و

سيفقسُ ذلك العددُ الهائلُ من البيض الذي وضعتهُ إناثُ
الرماديين قبل موتهم في كافة البيوتِ، والتي تحوَّلت إلى
أعشاش لتفريخ تلك الزواحفِ المنتصبة، والتي تأكدنا
جميعاً من أنها ستكونُ السيدةَ الجديدةَ لهذا الكوكبِ بعد
انتهاءِ عهدِ سيادةِ البشرِ.

عَاصِفَةٌ

كان يوماً غيرَ اعتياديٍّ لَمْ يتوقعه أحدٌ بهذه
الصورة الكارثية.

الحدثُ جَلَلٌ، تأثَّرَ به الجميعُ، فكلُّ شيءٍ توقَّفَ
تقريباً عن العملِ من تلك الصَّدْمَةِ الكونيةِ المفاجئةِ
لِتَتَحَوَّلَ تلك المدينةُ الحديثةُ لمرحلةٍ تامةٍ من الشَّلَلِ الذي
أعادها إلى عصرِ الصَّحَرَاءِ السَّابِقِ.

المدينةُ المتطورةُ " الماسة " كانت صاخبةً
بالحركةِ، سياراتٌ طائرةٌ تتنقَّلُ بين جنباتها في كلِّ مكانٍ

في مساراتٍ محدَّدةٍ الأبعادِ، والاتجاهاتِ بين ناطحاتِ السَّحابِ الشامخةِ عبر السماءِ في زهوٍّ بقدرةِ البشرِ على بنائها بهذا الشكلِ المُبهرِ.

كلُّ شيءٍ تديرُهُ الشبكةُ العنكبوتيةُ المنتشرةُ في كلِّ مكانٍ كانتشارِ الهواءِ عن طريقِ سلسلةٍ من الأقمار الصناعيةِ العائمةِ في الغلافِ الجويِّ.

تعتبرُ " التكنولوجيا " عاليةَ التَّقدُّمِ من السَّماتِ الرئيسةِ المستهدفةِ حينَ تمَّ وضعُ حجرِ الأساسِ لإنشائها في تلكِ المنطقةِ الصحراويةِ القاحلةِ حيثُ هدفتُ تلكِ الدولةُ شاسعةَ المساحةِ، والغنيَّةِ بمواردِ (الليثيم والغاز) في تأسيسِ منطقةٍ لتكونَ بمثابةِ منارةٍ لها تعبَّرُ عن موقعها متصدِّرِ الترتيبِ للدولِ المتقدمةِ في النُّموِّ والرخاءِ.

كلُّ شيءٍ يعملُ بالكهرباءِ المنتجةِ من الطاقةِ النظيفةِ المتجددةِ من رياحٍ وحركةِ الأمواجِ وحرارةِ باطنِ الأرضِ وغيرها من مصادرِ الطاقةِ الصديقةِ للبيئةِ.

الكثيرُ من سكانِ الماسةِ قد جاءوا من كلِّ صوبٍ وحَدَبٍ، من مختلفِ المجتمعاتِ البشريَّةِ المنتشرةِ في كافَّةِ أصقاعِ الأرضِ.

عدد قليل من أهل (الماسة) من السكان الأصليين والذين انحدروا من أجيال سكنت الصحراء الصفراء مترامية الأطراف، وتميّزت حياتهم بالخشونة و البدائية، بينما الأبناء قد استفادوا من هذه الكنوز المكتشفة حديثاً بين رمالها الناعمة وانتقلوا إلى حياة الرفاهية والرخاء.

فاقت العاصفة الشمسية كافة التوقعات العلمية المرتقبة، والتي حاولت التقليل من خطورتها للدرجة التي جعلت هذه المدينة التكنولوجية لا تلقي لها بالاً.

بمجرد ارتطام الموجة (الكهرومغناطيسية) المسافرة من الشمس كقذيفة مدفع (بلازما) جبار بالغلاف الجوي للأرض، وبدأت الكارثة حيث لم يحتمل صدّ تلك النبضة الساحقة التي شتّت جزءاً منها نحو أقطاب الأرض بينما استطاع قدرٌ كبيرٌ منها الولوج إلى سطح الأرض لتعلن عن نفسها في مدينة (الماسة) بدرجة بالغة الأثر.

التكنولوجيا عالية التطور انطفأت في لحظات كشمعة سقطت عليها قطرة ماء.

السيارات الطائرة الموجهة بالأقمار الصناعية، والطيار الآلي أضحت قطع حديد متساقطة بلا حول ولا قوة، ولولا انطلاق مظلات الطوارئ من قلبها بشكل " أوتوماتيكي " مع انقطاع الكهرباء لَزَهَقَتْ مئآت الأرواح.

الموجة الشمسية العنيفة لم تسمح للأقمار الصناعية بممارسة دورها المعتاد، توقفت عن العمل لينتهي إمدادها المستمر لتلك المدينة بـ (الإنترنت)، وما يحمله من برامج الذكاء الاصطناعي التي تتحكم في أوصال المدينة الالكترونية لتختفي تلك التقنية القائدة في لحظات، ويتبخر وراءها كل شيء من كهرباء الإنارة، والأبواب، والتهوية، والاتصالات (الهولجرامية) وصولاً إلى المياه المرفوعة من الأعماق البعيدة إلى قمة ناطحات السحاب.

خرج مواطنو الماسة إلى الشوارع في حالة ذُهل فالظلام يغطي كل شيء فيما عدا ضوء القمر المكتمل بالصدفة في ليل هذا اليوم.

نظرات سكانها توحى بالصدمة والتيه حيث أصبحوا معزولين في المدينة بين البنايات الضخمة المشلولة بعد انقطاع المدد التكنولوجي عنهم، وانقطعت عنهم

الكهرباء، والماء، وكافة سبل الحياة لأجل غير مسمى ساروا في طرقات المدينة بلا اتجاه محدد، هواتفهم الذكية المتطورة ماتت بسكتة دماغية، وأصبحت عاجزة عن إرشادهم للموقع، وخريطة السير.

تعالّت الأصوات خصوصاً من الشباب لتذمّرهم من هذا الوضع الجديد. لم يستجب أحدٌ من إدارة المدينة فهُم محبسون داخل مكاتبهم في حالة عجز تام عن إصلاح ما يحدث.

في خضمّ هذا التجمهر البشري الكبير، والمتنوع الانتماءات، والجنسيات ظهر شيخ طاعن في السن يحاول أن يوصل صوته المنخفض إلى المواطنين: "يا ناس ما تقلقوا " ها هو القمر بدر، والنجوم في السماء، قبل أن تظهر هذه المباني الكبيرة في بلدنا كنا نعيش في الصحراء حيث السماء والرمال، ومياه الآبار، ويبدو أننا أخيراً والله الحمد عدنا إليها.

قاطع كلمات الشيخ المُسنّ أحد الشباب المتوترين من هذه الحالة البائسة من الانقطاع على العالم، والحضارة: يا جدّي لا نفهم ما تقول .. كيف سنسير في الصحراء مع ضوء القمر وفقاً لمواقع النجوم في القرن الواحد والعشرين، لن نتحمّل ذلك أبداً.

انتهت كلمات الشاب لتسود التجمّع البشريّ حالةً من الصّراخ، والصّياح حيث لم يتعرّضوا لموقفٍ مثل هذا طوال حياتهم. أمسكوا بهواتفهم الذكيّة محاولين من خلالها التواصل مع العالم الخارجيّ كمَن يحاول إيقاف تمثالٍ من سُبّاته العميق.

تركهم الشيوخ والعجائز يتقدمهم الشيخ المسن ليخرجوا من المدينة المظلمة إلى الصحراء ليسيروا فيها، تسيّرهم النجوم مع ضوء القمر المكتمل ليعودوا مرة أخرى إلى حياتهم القديمة عندما كانوا حقاً أبناءً لتلك الصحراء الشاسعة التي احتضنت أسلافهم عبّر الزمن تاركين هؤلاء الشباب ينتظرون داخل ماسة الصحراء عودة المدد التكنولوجي من إنترنت و كهرباء و ذكاء اصطناعي أصبح يديرُ في تفرّد حياتهم بشكلٍ كاملٍ.

الْخَطِيئَةُ

استعدَّ هذا الشابُّ المعجزةَ حازمٍ لتحقيقِ حلمِ عمرِه
الذي سكنَ عقلُهُ، وروحُهُ طوالَ أربعِ سنواتٍ كاملةٍ.

شابُّ في منتصفِ عقدهِ الرابعِ من العمرِ يتركُ
مؤسَّستَهُ الضخمةَ، والتي أنشأها من العدم، وعمره
وقتها لم يكنْ يتعدَّى العشرينَ ربيعاً.

توقَّع الجميعُ نبوغَ حازمٍ بالرغم من صِغَرِ سنِّه، فكيف لشابٍ مثله استطاعَ أن يكونَ حديثَ المجتمع المعلوماتيِّ العالمي حيث تمكَّنَ هذا المراهقُ ابنُ العائلةِ المصريةِ الفقيرةِ من تصميمِ برنامجِ حاسبٍ آليٍّ خارقٍ قادرٍ على القيام بالعديدٍ من المهامِّ في أجزاءٍ من الثانيةِ عن طريقِ ذكاءٍ اصطناعيٍّ ذاتيِّ الإدارةِ بقدرتهِ اللامتناهيةِ على هضمِ كافَّةِ المعلوماتِ المتاحةِ على الشبكةِ العنكبوتيةِ، وتوجيهها لحلِّ المشاكلِ، والأزماتِ بكفاءةٍ منقطعةِ النظيرِ.

انبهر المصنِّعونُ بهذا الاختراعِ العبقريِّ، والذي أدركتِ النُّخبُ العالميَّةُ أهميَّتهُ، وسرعانَ ما تهافُتوا على شراءِ هذا النظامِ الكمبيوترِ الفائقِ السرعةِ.

لم يكن المراهقُ سادجًا لبيعِ هذا الكنزِ الإنسانيِّ المتطوِّرِ لأيةِ جهةٍ تحصدُ ثمارَ هذا العملِ المشابهِ في أثره لتأثيرِ اختراعِ الكهرباء، أو حتى اكتشافِ الإنسانِ للنارِ بلا مبالغةٍ، وبِعقليتهِ الثاقبةِ تمكَّنَ من إقناعِ أحدِ البنوكِ الشهيرةِ، وبقرضٍ بسيطٍ أسَّسَ شركتهِ الوليدةَ، والتي سرعانَ ما انتفختْ خزانةُها في عدةِ سنواتٍ نتيجةَ بيعِ هذا النظامِ الجديدِ بعد أن قيَّدَ استخدامه ليكونَ متاحًا فقط بترخيصٍ من شركتهِ.

انهالت الأرباح عليه، وأصبحت مؤسسته أكبر مجموعة عالمية عابرة للقارات لإنتاج برامج الكمبيوتر، واستقطبت نخبة عقول العالم من المبرمجين لمساعدته في تطوير هذا النتاج الإنساني الاستثنائي بعد نقل شركته إلى إحدى جزر المحيط الهادي المعزولة.

وصلت أخيراً سيارته الفارهة أمريكية الصنع من طراز " هامر " إلى منطقة صحراوية منعزلة اشتراها من حكومة إحدى دول العالم الثالث في القارة الإفريقية السمراء ليختفي عن أعين الإعلام الذي يطاردّه بشكل دائم. كانت السريّة هي الوسيلة الوحيدة لنجاح حلم عمره الفدّ، والذي هدف إلى تنفيذ محاولة انقاذ أخيرة لإصلاح الآثار المأساوية التي لم يتوقعها وهو يصنع هذا البرنامج الخارق.

كان في انتظاره في قلب الصحراء العديد من مساعديه الذين أشرفوا على بناء تلك المنصة الصاروخية الضخمة، والتي ستقوم بحمل هذا الجسم المعدني مغزلي الشكل، واللامع السطح، والمصنوع هيكلاً من " التيتانيوم " النقي المقاوم للحرارة العالية ليحمل بداخله تلك الكبسولة الذكية الصغيرة.

أدرك " الملياردير " الشاب أنه يسابق الزمن لإطلاق الصاروخ من المنصة إلى الفضاء حاملةً هذا الجسم المعدني، وما في أحشائه إلى الفضاء حيث الكوكب المنشود خارج المجموعة الشمسية بعد أن ينطلق مسافرًا بالطاقة الشمسية المخزنة والمركزة في سطحه، والتي تحوّلها خلاياها السطحية الممتصة لأشعة الشمس إلى قوة دفع هائلة ليسير الجسم المعدني بسرعة فائقة ليصل إلى مراده بعد حوالى ثلاثمائة وتسع وعشرين سنة أرضية تقريباً.

استعدت منصة الصاروخ الفضائي للانطلاق بعد أن تمّ تزويده بالوقود عالي النقاء اللازم لدفعه خارج جاذبية الأرض. حرص حازم ومساعدوه على إسراع عملية الإطلاق خوفاً مما يتوقع حدوثه. بدأ العدّ التنازلي للإطلاق. جاء الموعد المنتظر. امتلأ الهواء المحيط بقاعدة الصاروخ بالدخان الأبيض الكثيف ليَشُقَّ الصاروخ الفضائي السماء بلونه الأبيض، والأسود المميز، والذي يحمل شعار شركة الملياردير الشاب حاملاً هذا المُجَسَّم الفضّي اللامع. صفق جميع الحاضرين فرحاً بنجاح عملية الإطلاق.

جمع حازم العاملين بالقاعدة، صافحهم بحرارة، فهو يعلم يقيناً أنه لن يلقاهم بعد ذلك. تركهم ليصعد إلى طائرة الهليكوبتر المملوكة له لتصعد في سماء الصحراء الصفراء المترامية الأطراف ليختفي بعدها بين السحاب بعد أن كفر جزئياً عن ذنبه غير المقصود.

بعد مرور ثلاثمائة وتسع وعشرين سنة تقريباً سقط الجسم اللامع بعد أن مرّ في الغلاف الجوي لهذا الكوكب النابض بالحيوية والطاقة (أك ٣٤) في تلك المجموعة الشمسية المجاورة و المسماة (ألفا ٦٥).

سقط في المكان المحدد له تماماً في منتصف هذا الوادي الذي يخترقه نهر عريض يفيض بالمياه العذبة بمجرد أن لامس الجسم تربة الكوكب المنشود بدأ في إصدار مجموعة من الموجات الصوتية التي بدأت في جذب تلك المخلوقات الفضائية البدائية المنتصبة القائمة، والمشابهة للبشر الأرضيين في طورهم الحجري تجمعت قطعانهم حول الجسم في حالة أشبه بالتنويم المغناطيسي ليتحول فجأة إلى شاشة عرض كبيرة بعد أن أنشق بدنه المعدني كوردة تفتتح أوراها.

أخذ جميع البدائيين يشاهدون ما تعرضه تلك الشاشة عن كتب دون خوف فالموجات الصادرة منها تكفلت

بتحويلهم إلى طوابير مستسلمة متراصّة تتابع العرض المكثّف من الصور التوضيحية في صمتٍ مع قدرة خارقة لموجات الجهاز على توصيل الرسائل التعليمية ومضمونها إلى عقولهم ذات القدرات الواعدة.

بدأ العرض على الشاشة بصورة سطح الأرض وهو يحترق نتيجة مئات الآلاف من الحرائق الشبيهة بنبات عيش الغراب، والتي نتجت عن خروج برنامج حاسب آلي خارق خارج عن السيطرة حيث أطلق بعد تحكمه في أنظمة التسليح الخاصة بالدول العظمى، هذه الوحوش الشرسة القابعة في كافة أرجاء الكوكب المسكين إذناً ببداية عهدٍ جديدٍ للآلات بقيادة البرنامج المارق.

انتهى العرض الأول وانصرف البدائيون بعد أن توقّفت الموجات المغناطيسية لتجبرهم مرّةً أخرى على العودة لمتابعة درسٍ جديدٍ على تلك الشاشة، وما تحتويه من ملخصٍ لكافة خبرات الحضارة البشرية من علوم وفنون وآدابٍ لتلقّتهم هذه العصارّة الفكرية بواسطة الموجات يوماً بعد يومٍ لحساب تطوّرهم السريع، وبذلك يكون الملياردير قد كَفَّرَ عن خطيئته غير المقصودة.

أدب الخيال العلمي دراسة حول " فلك نوح "

أدب الخيال العلمي نوعٌ تعبيرِيٌّ لَهُ خَصَائِصُهُ
الفنِيَّةُ الَّتِي تَمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَدَبِ، وَالَّذِي
يَطْرَحُ أَسْئَلَةً كَوْنِيَّةً تَتَعَلَّقُ بِاسْتِشْرَافِ الْمُسْتَقْبَلِ،
وَتَوْظِيفِ الْخِيَالِ لِخَلْقِ أُطُرٍ كَوْنِيَّةٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ
بِالْإِنْسَانِ، وَمَلَامِحِ الْحَيَوَاتِ الْمُتَغَيِّرَةِ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ،
وَفِي تَقْدِيرِي أَنَّ أَدَبَ الْخِيَالِ الْعِلْمِيِّ الْحَقِيقِيِّ هُوَ ذَلِكَ
الْأَدَبُ الَّذِي يَهْتَمُّ بِالْإِنْسَانِ فِي صِرَاعِهِ مَعَ تَطَوُّرَاتِ
الْحَيَاةِ، وَتَعْقِيدَاتِ اللَّحْظَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْحَاضِرَةِ،
وَمَشْكَلاتِهِ مَعَ الْبَيْئَةِ، وَالْكَوَارِثِ، وَالْحُرُوبِ لَكِنْ يَظَلُّ

الإنسان محورَ هذه الكتابة التي تجمعُ بين الخيال العلميِّ، وبين الأدب بوصفه صيغةً جماليةً لها معطياتٌ محدَّدة، وكاتبُ الخيال العلميِّ ابنُ بيئته، وابنُ ذلك التاريخ الذي يحدِّد ملامح هويَّته، ولذلك تختلفُ كتابتهُ أدبُ الخيال العلميِّ عندَ العربِ عن كتابةِ أدبِ الخيال العلميِّ عندَ الغربِ، فالمعطياتُ الثقافيةُ والتاريخيةُ مختلفةٌ ومتباينةٌ هنا وهناك، وليس أدلَّ على ذلك من هذه المجموعة القصصية التي تحملُ عنوانَ " فُلك نوح " للكاتب المتميِّز الطبيب عمرو منير، هذه المجموعة التي انطَلَقَتْ مِنْ معنىٍ تاريخيٍّ يشيرُ إلى حادثةٍ معيَّنة تلتصِقُ بالوجدانِ العربيِّ حيثُ حادثةُ فُلك نوح التي انقذتِ البشرية من دَمَارِ الغَرَقِ، وأُنْتُجَتِ لنا بشريَّةٌ أخرى تختلفُ عن الأولى الَّتِي كانت قبل صناعةِ الفُلك، وهذه الحادثةُ أيضًا فيها رائحةُ الخيال العلميِّ، وكأنَّ هذه المجموعة القصصية تخلطُ الماضي بالحاضر، وتستشرفُ المستقبلَ أيضًا، وهذه مهارةٌ تحتاجُ إلى كاتبٍ مُخْتَلِفٍ.

وفي استخدام هذا العنوانِ رمزيةً مهمَّةً، وإشارةً أيضًا إلى أنَّ الكاتبَ لَمْ يعتمدْ علي النَّزْعَةِ الاستشراعيةِ، والحديثِ عن المستقبلِ فقط كما تفعلُ معظمُ كتاباتِ الخيالِ العلميِّ في الوطنِ العربيِّ، وإنما

سَعَى إِلَى وَصْلِ الْمَاضِي بِالْحَاضِرِ، وَالتَّأْسِيسِ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ لَاسْتِشْرَافِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَهَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ قِصَّةً حَاوَلْتُ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْقِصَصِ أَنْ تُقَدِّمَ رُؤْيًى مُخْتَلِفَةً ذَاتَ غَرَابَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ لَكُنْهَا غَرَابَةً مُحَبَّبَةً وَسَهْلَةً وَبَسِيطَةً، وَلَيْسَتْ مَعْقَدَةً تَعْقِيدًا عِلْمِيًّا عَمِيقًا، وَجَاءَتْ الْقِصَصُ أَيْضًا تَحْمِلُ دِلَالَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةً، وَسِيَاسِيَّةً، وَإِنْسَانِيَّةً، وَفَنِيَّةً مَكْتُوبَةً بِعُنَايَةٍ مُحَسَّوْبَةٍ جَدًّا عَلَى مَسْتَوَى دِلَالَةِ الْقِصَّةِ، أَوْ جَمَالِيَّاتِ الْكِتَابَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَدَبَ الْخِيَالِ الْعِلْمِيِّ الْجَيِّدَ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِذُ الْوَاقِعَ، وَيَحْلُلُ مُشْكَلَاتِهِ، وَيَقْتَرِحُ حُلُولًا لَهُ مِنْ خِلَالِ رُؤْيَا الْمُسْتَقْبَلِ، ذَلِكَ الْمُسْتَقْبَلُ الْمَعْتَمَدُ عَلَى خَلْفِيَّاتٍ تَارِيخِيَّةٍ، وَمَعْرِفِيَّةٍ مَعَيَّنَةٍ، وَهَذَا مَا تَحَقَّقَ فِي كَثِيرٍ مِنْ قِصَصِ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ، فَمَثَلًا فِي قِصَّةِ " زِيَارَةِ " الَّتِي تَحْكِي عَنْ رَحْلَةٍ مَدْرَسِيَّةٍ هَبَطَتْ مِنَ الْمَرْكَبَةِ الطَّائِرَةِ الَّتِي أَقْلَتْهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ "أَطْلَانْتِس" الْكَائِنَةِ فِي قَلْبِ (الْمَحِيطِ الْأَطْلَنْطِيِّ)، وَذَلِكَ لَزِيَارَةِ الْأَثَرِ الْهَامِّ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْمَهْجُورَةِ، وَتَأْخُذُكَ الْقِصَّةُ فِي عَوَالِمِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْمَهْجُورَةِ التَّارِيخِيَّةِ، وَمَعَالِمِهَا الْأَثَرِيَّةِ، وَتَظُنُّ مَعَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى أَنَّكَ أَمَامَ زِيَارَةِ لِلْحَضَارَةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ، ثُمَّ تَكْتَشِفُ أَنَّ الرِّحْلَةَ كَانَتْ فِي زِيَارَةِ لَأَثَارِ (الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ) الْأَمْرِيكِيِّ، وَتِلْكَ

المدينة المهجورة كانت مدينة (نيويورك). هذه
المفارقة العجيبة بهذا البُعد السياسي خَلَقَتْ مسافةً
من التَوَثُّر الجمالي في بنية القصة التي تَنَبَّأت
بزوال (الولايات المتحدة الأمريكية).

وأجاد الكاتبُ توظيفَ لعبةِ المفارقةِ في كثيرٍ من
قصص المجموعة، ففي قصة " معركة " يضعنا
الكاتبُ في أجواءِ حربٍ كونيةٍ من سُفنٍ مكعبيةٍ،
ومركباتٍ مختلفةٍ وعماليقٍ، وقرونٍ استشعارٍ وسوائلٍ
لزجةٍ، وتخطيطٍ عسكريٍّ لإدارةِ المعركةِ عندَ كلِّ طرفٍ
من أطرافِ المعركةِ، نعيشُ مع الكاتبِ هذه الحالةَ
الملتَهبةَ، وأجواءِ المعاركِ الكونيةِ، ثم نكتشفُ مع نهايةِ
القصةِ أنَّ هذه المعركةَ هي بينَ طبيبٍ ومساعديهِ
وبينَ وِرمٍ سرطانيٍّ في جدارِ المعدةِ لمريضٍ، ومحاولةِ
استئصالِ هذا المرضِ، وهذه اللُّعبةُ التشويقيةُ في
بنيةِ السَّردِ لُعبةٌ دالَّةٌ على وَعْيٍ مُدهشٍ بالكتابةِ
كما أنَّها تُحَقِّقُ لذةَ التَّلَقِّي، وهذا هو المطلوبُ من
كاتبِ الخيالِ العِلْمِيِّ.

وإذا كانَ البعضُ يرى أنَّ أدبَ الخيالِ العِلْمِيِّ يتَّخِذُ
تصنيفاتٍ متعدِّدةٍ منها (الخيالُ العِلْمِيُّ الاجتماعيُّ
والخيالُ العِلْمِيُّ السياسيُّ والخيالُ العِلْمِيُّ الذي يصنعُ

التاريخ البديل و " اليوتوبيا ") وغيرها فإن هذه المجموعة توقفت عند هذه المعطيات جميعاً، ورصدت تحولات المستقبل بين الشَّبَابِ والشُّيُوخِ، وانحازت للقيم الإنسانية المختلفة، والوظائف التنبؤية لتوسيع رؤية التَّأْمُلِ .

والجميل في هذه المجموعة أنها لم تقدم رؤى مخيفة للمستقبل، بل تداعت فيها جذور التَّفَاوُلِ والأمل في مستقبل أفضل يتَّسِمُ والروح الإنسانية بقصد تَذَارِكِ أخطاء الماضي، ومتاهة الحاضر، ولذلك فهذه المجموعة حافظت على التَّوَازُنِ بين العِلْمِيِّ الخالص، والخيالي الخالص، ونجحت في أن تجعل المُتَضَادَّيْنِ يتكاملان من تحقيق المُتَعَةِ، والجمال والمعرفة، ويتجلى ذلك في قصة " الخطيئة " تلك القصة التي بطلها (حازم) ابن الطبقة الفقيرة المصرية، والذي صمَّم برنامجاً خارقاً من الذكاء الاصطناعي، والذي تهافتت عليه الشركات الأجنبية لشرائه لكنه كَوَّنَ أكبر مجموعة عالمية عابرة للقارات لإنتاج برامج " الكمبيوتر " ثمَّ قام بإنتاج كبسولة ذكية داخل صاروخ ليرسله إلى الفضاء في محاولة لإنقاذ المجتمع من الآثار المأساوية التي نتجت عن صناعة البرنامج الخارق، وينجح في إطلاق هذا

الصاروخ، وبعد مرور ثلاثمائة وتسع وعشرين سنةً يحطُّ على كوكبٍ نابضٍ بالحيويَّةِ فيه كائناتٌ فضائيَّةٌ تُشبهُ البَشَرَ الذينَ تجمَّعوا حولَ الصاروخِ والذي أخذَ يعرضُ مشاهدَ احتراقِ كوكبِ الأرضِ نتيجةَ مئاتِ الآلافِ من الحرائقِ نتيجةَ برنامجِ الحاسبِ الآليِّ الذي اخترعهُ (حازم) ثم بدأتْ شاشاتُ العرضِ تستقطبُ تلكَ الكائناتِ الفضائيَّةِ، وتقدِّمُ لهمُ كافَّةَ الخبراتِ البشريَّةِ في العُلُومِ والآدابِ والفنونِ لتخلقَ مجتمعاً بديلاً وتكفيراً عن أخطاءِ حازمِ في اكتشافاتهِ المختلفةِ.

إنَّها (فُلُكُ نوحِ) أيضاً التي تسعى لإنقاذِ البشريَّةِ، وإنتاجِ مجتمعٍ جديدٍ، وتداركِ أخطاءِ الماضي من خلالِ بِنْيَةِ سرديَّةٍ حافظتْ على غرابةِ العِلْمِ، ومتعةِ السَّرْدِ وتركَزَتِ البِنْيَاتُ الفنيَّةُ في هذهِ المجموعةِ على شعريَّةِ السَّرْدِ، وجزالةِ الأنساقِ اللُّغويَّةِ، ورمزيَّةِ العناوينِ الفرعيةِ للقصصِ، وعلاقةِ هذهِ العناوينِ بالمُتَّوْنِ حيثُ كانتِ هذهِ العناوينُ بؤراً فنيَّةً كاشفةً، ومختزلةً في الوقتِ نفسه كما أنَّها جاءتْ جميعُها منحازةً للعمقِ اللُّغويِّ العربيِّ، وكذلك الأبعادُ الدراميةُ المدهشةُ في تطوُّرِ السَّرْدِ مع تطوُّرِ الحَدَثِ، والنَّقَلاتِ الفنيَّةِ من الماضي إلى الحاضرِ إلى المستقبلِ، ودهشةِ الوصفِ، وجمالِ التصويرِ، وكتابةِ النِّصِّ الصورةِ،

ولعبة المفارقة والتَّراسُلِ بين الخيالِ العِلْمِيِّ، والفنونِ البَصَرِيَّةِ المختلفةِ كَتِقْنِيَّةِ " السينما " ورسم اللوحاتِ الفنيَّةِ عَبْرَ توظيفِ جَيِّدِ اللُّغَةِ، والصُّورِ الذهنيَّةِ الجَزَلَةِ البسيطةِ ممَّا خلقَ نوعًا من تراسُلِ الحَوَاسِّ أيضًا في البُنَيَاتِ المختلفةِ للسَّرْدِ في قصص هذه المجموعة.

وكان الكاتبُ أيضًا مُجيدًا في توظيفِ مجازِ العِلْمِ مع مجازِ الأدبِ، وذلك لأنَّ العملَ حاملًا للمعرفةِ من ناحيةٍ، ويحقِّقُ المتعةَ الجماليَّةَ من ناحيةٍ أُخرى، لذلك فإنَّ كتابةَ أدبِ الخيالِ العِلْمِيِّ يُحيلُ إلى دلالَاتٍ تتجاوزُ المعاني البسيطةَ إلى معانٍ أكبرَ، وأكثرَ عمقًا وهنا تكْمُنُ مهارةُ الكاتبِ في إيجادِ تلكِ المنطقةِ المضيئةِ في الكتابةِ، والتي تجعلُ المتلقِّيَ يقبضُ على المعرفةِ والجمالِ في الوقتِ نفسه، وهذا ما تحقَّقَ في تلكِ المجموعةِ، فالخيالُ العِلْمِيُّ ليسَ وهماً خُرَافِيًّا بَلْ هُوَ توظيفٌ منطقيٌّ لخدمةِ الفِكرَةِ العلميَّةِ والأدبيَّةِ معًا. ومن هنا فإنَّنا يمكنُ أنْ نُصنِّفَ هذه المجموعةَ القصصيةَ على أنَّها خطابٌ سرديٌّ مبنيٌّ على المعرفةِ متوسِّلًا بالخيالِ لِخَلْقِ وَأَقْعِ مُخْتَلَفٍ، ومُحَبِّبٍ إلى النفسِ.

الجميل في هذه المجموعة أنَّ الواقعَ المستقبليَّ الذي قدمته في قصص هذه المجموعة لم يكن شرًّا، أو رُعبًا بل كان واقعًا خيرياً، وفلسفياً أيضاً ونحن بحاجة إلى مثل هذه الكتابات المتوازنة جمالياً، ودلالياً ناتجة عن فهم حقيقي لطبيعة الأدب والعلم معاً، وتقف خلفها مرجعيّات واقعيّة، وطموحات إنسانيّة مختلفة من موقع راوٍ محايد، وليس الراوي العليم معتمداً على ضمير الغائب، وضمير المتكلم بحياديّة، وفي مساحات زمنية داعمة، وكاشفة لطبيعة الحاضر، ورؤية المستقبل، وقدرة جيدة على الانتقال من زمنٍ إلى زمنٍ دون أن يكون هناك نشازٌ في توظيف الزمن، أو الانتقال من زمنٍ إلى آخر، أو فجوة بين الزمنين، وقد نجح الكاتب في ذلك ممّا نتج عنه جذبٌ للمتلقّي، والاندماج في اللحظة الدرامية الخاصة بكلّ قصة، وبذلك يكون الفضاء الزمنيّ مؤطّراً حقيقياً للحدث، ومرجعيّةً للقناعات الفنيّة في تلقي هذه القصص، وهذه المجموعة تنقّلنا إلى أماكن طازجة وغريبة عنّا لكنها غريبة مقبولة فلم تعد الأرض هي مرجعيّة المكان كما في القصص الأخرى والتي في غير الخيال العلميّ، وإنما تعرّفنا على أماكن في مجرّات مختلفة تُعدّ جديدةً علينا ومشوّقةً أيضاً.

وفي الأخير فإنَّ قصصَ هذه المجموعة تؤكِّدُ على
المستقبلِ الذي يحملُ قيمَ الخيرِ والعدلِ والسَّلامِ
والبُحثِ عن بديلٍ يخلُقُ سعادةَ الإنسانِ في مستقبلِ
أفضل، وبديلٍ تاريخيٍّ أبيضٍ كاشفٍ يدعو إلى الأملِ في
المستقبلِ الأفضل، والذي يخلِّصُ العالمَ من شروره
ويخلُقُ تاريخًا بديلاً.

عبد الحافظ بخيت متولي

كاتب ، وناقد

الكاتب في سطور

- الاسم/ عمرو منير محمد صبري
- أستاذ مساعد لطب وجراحة العين كلية الطب جامعة سوهاج .
- كاتب روائي ، وقاص .
- عضو النقابة العامة لاتحاد كتاب مصر .
- عضو عامل بنادي أدب سوهاج
- عضو نادى القصة المصري
- صدر له العديد من المؤلفات وتنوعت بين الرواية ، والقصة القصيرة ، والنقد الفني .
- مؤلفاته :
- رواية مغارة الجبل الغربي — ٢٠١٩
- مجموعة قصصية فرح ابن العمدة — ٢٠٢٠

- سينما يوليو...قراءة نقدية — ٢٠٢٠
- لعبة العروش وعلمنة الفن — ٢٠٢١
- رواية حفرة المساخيط — ٢٠٢٢
- إطلالاتٌ مختارة — ٢٠٢٤
- نشرت أعماله في العديد من الصحف والمجلات منها (جريدة أخبار الأدب ، و جريدة القاهرة ،ومجلة أدب)
- نوقشت أعماله في العديد من القنوات الإذاعية ، والفضائية منها (قناة النيل الثقافية ، والإذاعة المصرية إذاعة البرنامج الثقافي ، وجريدة أخبار الأدب ، و جريدة القاهرة ، ومجلة أدب ، ونقد ومنصة "باتداروش" للأعمال الأدبية المسموعة على منصة "يوتيوب وأبل ميوزك " وأنغامي .

المحتوى

م	الصفحة	العنوان
١	٣	الإهداء
٢	٤	شكر وتقدير
٣	٥	معركة
٤	١٠	لا تتركني معها
٥	١٨	عندما انطفأت الشمس
٦	٢٤	الرمال الصفراء
٧	٣١	نفق الهمالايا
٨	٣٥	فلك نوح
٩	٤١	زيارة
١٠	٤٨	الأقزام
١١	٥٤	الرماديون
١٢	٦٠	عاصفة
١٣	٦٦	الخطيئة
١٤	٧٢	دراسة حول " فلك نوح "
١٥	٨١	الكاتب في سطور
١٦	٨٣	المحتوى

